بسم الله الرحمن الرحيم سبحن الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصا الذي بركنا حوله لنريه من ءايتنا إنه هو السميع البصير ۞ وءاتينا موسى الكتب وجعلنه هدى لبني إسرءيل ألا تتخذوا من دوني وكيلا ۞ ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبدا شكورا ۞ وقضينا الى بني إسرءيل في الكتب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا ۞ فإذا جاء وعد أولىهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلل الديار وكان وعدا مفعولا ۞ ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددنكم بأموال وبنين وجعلنكم أكثر نفيرا ۞ إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها فإذا جاء وعد الأخرة ليسئوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا ۞ عسى ربكم أن يرحمكم وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكفرين حصيرا ۞

صدق الله العظيم



Islam and Palestine

نشرة غير دورية تهتم بشؤون الاسلام والقضية الفلسطينية

العدد الثالث والعشرون — ٥ رجب ١٤١٠هـ — ٣١ يناير (كانون الثاني) ١٩٩٠

الافتتاحية

بسم الله الرحمن الرحيم

الانتفاضة تمد عمقها الاستراتيجي الى باكو وكشمير

كانت الانتفاضة الشاملة لشعبنا المسلم في فلسطين المحتلة، ليس فقط رداً على سنوات القمع والاضطهاد والاحتلال وعلى عجز الوضع العربي الرسمي عن مواجهة العدو، ولكنها ايضاً انعكاس للانتصارات الشعبية الاسلامية في لبنان وافغانستان وانحاء العالم الاسلامي الأخرى. ولاشك ان تراجع العدو وانهياره في لبنان كان عاملاً جوهرياً في اسقاط هيبة العدو وكسر مسلسل انتصارات جيشه منذ ١٩٤٨.

كانت الانتفاضة نقطة التكثيف والانفجار لميزان قوى جديد تهب رياحه على الحوض العربي والاسلامي، عادت فيه الشعوب الى قلب ساحة الفعل والتأثير تتقدم مرة، وتتراجع أخرى، ولكنها كما جداول المياه الساقطة من أعلى الجبال، تنحت الصخر وتترك آثارها عليه، وتستمر وتستمر حتى تصنع قناة واضحة العالم.

وكما انفجرت نضالات أمتنا في العقدين الماضيين في حالة تجلٍ ونهوض شعبي عارم على ساحة القلب من العالم الاسلامي، في فلسطين، فان الانتفاضة عادت لتنعكس على جماهير الأمة بمزيد من التقدم واحراز المواقع والانتصارات.

ففي آذربيجان انفجرت حالة الغليان الشعبي يوم السبت (٢٠/١/١٩٩٠) في مواجهة الدبابات الروسية السوفياتية، بعد أن كانت قد إنفجرت على الحدود مع ايران مؤكدة انتمائها لجسم الأمة الكبير. وان كان الاحتلال السوفياتي لأفغانستان في ١٩٧٩ قد انعكس هزيمة وتراجعاً لقوات الاحتلال في ١٩٨٩، فان الاحتلال الروسي لأذربيجان لن ينعكس هزيمة للمحتلين في فترة أقصر من ذلك فقط، بل سيشعل نار الستين مليون مسلم داخل حدود امبراطورية قياصرة الكرملين بأسرع مما يتصور العالم. وقد أكد شيخ الاسلام شكر الله زادة رئيس الدائرة الدينية لمسلمي ما وراء القوقاز في رسالته لغورباتشوف من باكو انه «لا يمكن الحديث بلغة السلاح مع أي شعب، بما في ذلك الشعب الأذربيجاني وقد يستمر ذلك عشرة أيام أو عشر سنين كما حصل في افغانستان، وبعون الله تعالى، وعلى الرغم من كل شيء ستنتصر العدالة التي أستشهد في سبيلها أبناء وبنات شعبي الذين خروا صرعى برصاص الجنود السوفيات».

وفي اليوم التالي للاحتلال السوفياتي لباكو كان آلاف المسلمين من أبناء كشمير تحتل شوارع العاصمة سريناغار وهي تردد الآيات القرآنية في تحد صارخ لحظر التجول الذي فرضته سلطات الاحتلال الهندي. وما أن انتشرت أنباء سقوط ٢٠ من الشهداء حتى كانت المدينة تخرج بنسائها وأطفالها الى الشوارع تندد بالهند وتعلن تأييدها لباكستان المسلمة.

وفي السابع من ديسمبر (كانون أول) خرج شباب تونس المسلمة الى شوارع العاصمة يحيون بداية العام الثالث للانتفاضة الفلسطينية الباسلة و يسجلون نقطة آخرى في حسابات سجل الحرية والنهضة.

الذين يقرأون الخطاب السوفياتي-الأميركي يصابون بالكآبة والاضطراب أمام نقاط بيكر والمداراة الأميركية للكيان العبري، أو امام أرقام الهجرة اليهودية السوفياتية الى فلسطين المحتلة، آلفاً وراء آلف بلا اكتراث بأصدقاء موسكو وحلفائها من العرب والفلسطينيين.

أما الذين يقرأون خطاب الأمة، و يتحسسون أشارات المخاض النهضوي على طول الحوض العربي الاسلامي وعرضه، فإنهم يشهدون عمق الانتفاضة الاستراتيجي وقد امتد من القدس الى تونس ومن القدس الى باكو ومن القدس الى سريناغار وأبعد.

في هذا العدد

عمليات قتل المجاهدين تحت التعذيب .... ص ٢
بعد عامين من الانتفاضة .... ص ٣
فلسطين في مشروع النهضة .... ص ٥
سلام لبنان من سلام المنطقة .... ص ٨
العلاقات بين الدول الاشتراكية واسرائيل .... ص ١٠
بيانات .... ص ١٦

سجون العدو/استمرار عمليات قتل المجاهدين تحت التعذيب

اضافة لعمليات القنص المتعمدة للمجاهدين الفلسطينيين في شوارع المدن والقرى، ولعمليات الكمائن التي تقوم بها وحدات من الأمن الاسرائيلي ترتدي ملابس مدنية لاصطياد العناصر النشطة في ساحة الانتفاضة، فقد لجأت سلطات العدو مؤخراً الى قتل المجاهدين البواسل من أبناء شعبنا أثناء التحقيق معهم و باستخدام وسائل تعذيب همجية. وقد استشهد تحت التعذيب في شهري ديسمبر (كانون أول) و يناير (كانون ثاني) أربعة مجاهدين لرفضهم الادلاء باعترافات للعدو الصهيوني.

استشهد فهيم سالم من قرية ذنابة القريبة من مدينة طولكرم في الضفة الغربية في ٢٢ يناير (كانون ثاني) بعد أن عذبه رجال المخابرات الارائيلية حتى الموت. وكان قد أعلن في اليوم السابق عن استشهاد المناضل فايز قدوره (٢٤ عاماً) من قرية شويكة على أيدي رجال مخابرات الأحتلال، الذين اختطفوه وقتلوه وألقوا بجثته في قرية أكتابا المجاورة في محاولة محمومة لخلق فتنة بين صفوف جماهير الشعب الفلسطيني، حيث زعمت سلطات الأحتلال أن عملية قتله تمت بأيد فلسطينية. الا أن كافة الهيئات الوطنية والمواطنين في طولكرم حملوا سلطات الاحتلال مسؤولية قتله نظراً لأنه معروف بنشاطه في الانتفاضة. وأعلنت سلطات الاحتلال قريتي ذنابة وشويكة منطقتين عسكريتين مغلقتين. وكانت سلطات أمن العدو قد أعلنت في يوم الثلاثاء ١٩ ديسمبر (كانون أول) عن وفاة المجاهد خالد كامل الشيخ علي من غزة فى احدى زنازين سجن المدينة، وعللت أسباب الوفاة بأزمة قلبية. وذلك بعد مضي أسبوعين على اعتقاله بتهمة الانتماء لحركة الجهاد الاسلامي في فلسطين، ضمن حملة اعتقالات واسعة النطاق طالت المئات من كوادر ونشيطي الحركة في الضفة والقطاع، وصفتها هاآرتس الاسرائيلية بأنها الأضخم ضد الجهاد الاسلامي منذ سنوات. وقد أكدت عائلة المجاهد خالد الشيخ علي أنه كان يتمتع بصحة جيدة عند اعتقاله ولم يكن يعاني من أية امراض، وكان قد اعتقل معه والده وشقيقه وأفرج عنهم بعد ١١ يوماً وأكدا تعرض خالد للتعذيب والضرب. وذكر شقيق خالد ان ضباط العدو «ضربوا خالد أمامي». وقالت صحيفة جيروزاليم بوست الاسرائيلية في عددها الصادر يوم الجمعة ٢٢ ديسمبر (كانون أول): «يشتبه محامون اسرائيليون وفلسطينيون أن خالد الشيخ علي قتل نتيجة التعذيب».

طالبت أسرة خالد أن يحضر طبيب من طرفها تشريح الجثة، وانتدبت لذلك الطبيب الأميركي مايكل بادين من نيو يورك، الذي أكد بعد عملية التشريح التي تمت يوم الأحد ٢٤ ديسمبر (كانون أول) ان الشهيد خالد لم يستشهد نتيجة أزمة قلبية كما ادعت مخابرات العدو ولكن بسبب التعذيب الوحشي الذي تعرض له اثناء فترة التحقيق. كما أشارت اذاعة العدو في نشرتها المحلية يوم الأثنين ٢٥ من الشهر نفسه (الساعة الثالثة والنصف) أن نتيجة التشريح أثبت أن الوفاة لم تكن طبيعية. وذلك فيما أفادت عائلة الشهيد أن عملية التشريح اثبتت وجود آثار ضرب وتعذيب على الصدر والبطن والمعدة والأعضاء التناسلية والفخذين والظهر وكدمات في الوجه. وقال الطبيب الأميركي بادين انه سجل وقوع اصابات لحقت بساقي الشهيد و ظهره واعضائه التناسلية ووجهه وأن الوفاة حدثت نتيجة نزيف داخلي أثر الضربات الشديدة في المعدة.

ومن جهة أخرى أكدت حركة الجهاد الاسلامي في فلسطين في بيان لها أن المجاهد خالد الشيخ علي قد أعدم على يد فرق الموت الاسرائيلية داخل قسم التحقيق (المسلخ) التابع لسجن غزة المركزي. وذكرت بأنها ليست المرة الأولى التي يقوم بها ضباط العدو بتصفية واعدام مجاهدي الحركة والشعب الفلسطيني سواء داخل غرف التحقيق أو في المدن والقرى والمخيمات.

وكان العدو قد أعلن أيضاً في الرابع من ديسمبر (كانون أول) أن المجاهد السجين خالد عبد العاطي انتحر بشنق نفسه داخل زنزانته. وذلك فيما يعرف كل من تعرض لتجربة السجن في الوطن المحتل أن من المستحيل لأي معتقل في سجون العدو، خاصة أثناء فترة التحقيق أن يتمكن من شنق نفسه بسبب مواصفات الزنازين الخاصة وطبيعة الاجراءات المشددة التي تحيط بالمعتقل طوال ساعات اليوم والتي تحول دون ذلك.

والذي لا يستدعي كبير شك أن ضباط العدو يمرون بحالة من الهستيريا وفقدان الثقة بالنفس أمام عجزهم عن كبح انتفاضة شعبنا وصمود مجاهديه اثناء مراحل التحقيق المختلفة. والواضح أن مؤسسة الأمن الاسرائيلية تريد بجرائمها المتلاحقة مؤخراً ضد حياة المجاهدين المعتقلين أن تثير جواً من الرعب والخوف في أجواء السجون بعد أن سقطت كل حواجز الخوف والرهبة بين شعبنا ومجاهديه من اسطورة المحقق الإسرائيلي.

م. ت. ف. / تحركات جديدة على الساحة الوطنية تعكس متغيرات الساحة السياسية العربية.

رحب بيان القيادة الوطنية الموحدة الصادر في مطلع الأسبوع الأخير من يناير (كانون ثاني) بدعوة السيد خالد الفاهوم لعودة الفصائل الفلسطينية المعارضة لقيادة «م.ت.ف.» الى صفوف المنظمة. ولكن البيان اقتصر على الترحيب فقط بدون أن يشير الى امكانية عقد دورة جديدة للمجلس الوطني الفلسطيني، وهو الأمر الذي طالب به الفاهوم في دعوته. ونظراً لأن القيادة الموحدة تعبر عن

الخط السياسي العام لمنظمة التحرير، فقد أعتبر ترحيب بيانها بالدعوة اضافة جديدة لمسلسل التصريحات والبيانات التي توالت على الساحة الفلسطينية الوطنية في طبيعة العلاقات بين فصائل الحركة الوطنية بعد المتغيرات الكبرى التي جرت علاقات الدول والمحاور العربية بعضها ببعض.

وكان السيد خالد الفاهوم رئيس «جبهة الانقاذ الوطني الفلسطيني» التي تتخذ من دمشق مقراً لها والخارجة عن اطار مظمة التحرير الفلسطينية قد أعلن دعوته في ٥ يناير (كانون ثاني) بإعادة توحيد الفصائل الفلسطينية في اطار «م.ت.ف.». وكانت جبهة الانقاذ قد تشكلت في دمشق من فصائل وشخصيات فلسطينية مستقلة. اثناء احتدام الصراع بين سوريا والمنظمة، وعقب وقوع الانشقاق في صفوف حركة فتح. قاطعت فصائل وشخصيات الجبهة هيئات «م.ت.ف.» ومجلسها الوطني منذ ذلك الوقت. الا أن قوى المعارضة للمنظمة ضعفت الى حد ملحوظ بعودة الجبهة الشعبية والجبهة الديمقراطية الى المنظمة عبر دورة المجلس الوطني التي عقدت في الجزائر في ١٩٨٧ قبل الانتفاضة.

وقد توالت ردود الفعل على دعوة السيد الفاهوم من كافة الأوساط والاتجاهات الفلسطينية. ففي الثامن من يناير (كانون ثاني) دعا الأمين العام للجبهة الشعبية الفلسطينية الدكتور جورج حبش الى عقد اجتماع للمجلس الوطني الفلسطيني «ليقف أمام موضوعين أساسيين هما المراجعة والتقويم من ناحية والاصلاح والديمقراطية من ناحية آخرى»، وشدد على «أهمية وضرورة تعميق وتعزيز الوحدة الوطنية في الداخل والخارج ونبذ الصراعات الجانبية وحل الخلافات». أما الشيخ عبد الحميد السائح رئيس المجلس الوطني فقد نفى في اليوم نفسه وجود أية ترتيبات لعقد المجلس الوطني. وقال أن المجلس سيعاد تشكيله من جديد وليس هناك ما يستوجب عقد جلسة استثنائية حالياً».

أما جبهة النضال الشعبي التي تتخذ أيضاً من دمشق مقراً لها فقد رحبت في بيان صدرعن مكتبها السياسي بمبادرة السيد الفاهوم ولكنها طالبت أيضاً بـ «تشكيل وعقد المجلس الوطني الفلسطيني السابع واجراء عملية مراجعة وتقويم للمرحلة الماضية والاتفاق على صيغة سياسية وتنظيمية تؤمن تحقيق الوحدة الوطنية الفلسطينية الشاملة في اطار م. ت. ف.». حركة «فتح-الانتفاضة» بزعامة أبوموسى المنشقة عن حركة فتح رفضت مبادرة الفاهوم (١٩٩٠/١/٨) وجاء في بيانها «أن الدعوة الى الوحدة مع ذلك النهج كما هو لن تؤدي الى وحدة وطنية». ورأى بعض المراقبين أن موقف الانتفاضة طبيعي لأن الدعوة لا تشملها، إذ أن معظم الفصائل الفلسطينية لا تعتبرها فصيلاً، وأن عليها التفاهم مع فتح أولاً، وان تم ذلك فلفتح الحرية أن تقدم بعض شخصيات «الانتفاضة» للمجلس الوطني.

وجاءت الخطوة التالية في ١٠ يناير (كانون ثاني) عندما اجتمعت قيادة «م.ت.ف.» في تونس ودرست مبادرة الفاهوم، واعتبرت أن «الباب مفتوح لجميع الذين هم أعضاء فيها» أي م. ت. ف. للعودة. وأوضح الأمين العام للجبهة الديمقراطية نايف حواتمة أن هذا العرض موجه الى منظمة «الصاعقة» المؤيدة لسوريا، والى «الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين-القيادة العامة» بزعامة أحمد جبريل، وكذلك الى الشخصيات الفلسطينية المستقلة التي هي أعضاء في «م.ت.ف.» ولكنها تقاطع هيئاتها منذ ١٩٨٣.ونستبعد الدعوة بالتالي حركة «فتح-الانتفاضة» و«الحزب الشيوعي الثوري» بزعامة عربي عواد. وأعلن حواتمة أيضاً أن المنظمات والشخصيات الفلسطينية يمكنها «المشاركة في الاجتماع المقبل للمجلس المركزي للمنظمة»، الذي هو هيئة وسط بين المجلس الوطني واللجنة التنفيذية. وأعلن أن «المنظمات التي ستنضم يجب أن تتعهد باحترام قرارات المجلس الوطني الفلسطيني الأخير في الجزائر خصوصاً اعلان الاستقلال ومبادرة السلام الفلسطينية».

التحرك الجديد في الساحة الوطنية الفلسطينية جاء على خلفية من تقارب سوري-مصري جاد، أوضح أن دمشق أصبحت أكثر ميلاً الى أن تعارض خط القاهرة-م. ت. ف. تجاه القضية الفلسطينية بدون أن تحاول تعطيله، على أن تحصل على غطاء عربي واسع لسياستها في لبنان. وقد أفقد هذا المتغيره الذي لا ينفصل عن التغير الواسع في سياسة الاتحاد السوفياتي تجاه المنطقة، افقد جبهة الانقاذ مبرروجودها وأقوى عناصر دعم هذا الوجود.

وفي أوساط «م.ت.ف.»، ما عدا رئيسها السيد عرفات، وجدت مبادرة الفاهوم استجابة دافئة ومشروطة، لأن التوحيد يضيف ورقة جديدة للذين يحاولون تقييد حركة السيد عرفات وانفراده بقيادة المنظمة، كما أنه قد يقدم انتصاراً نفسياً للوضع الفلسطيني المتأزم بتعثر خطوات التسوية.

الملاحظة الجديرة بالأهتمام أن لا السيد الفاهوم ولا من استجاب له قد أشار من قريب أو بعيد الى أن الوحدة الوطنية الفلسطينية تبقى جد شكلية بدون أخذ المعسكر الاسلامي في الإعتبار.

فلسطين / بعد عامين على الانتفاضة، عودة الى البرنامج الأصلي

عندما انعدلعت الانتفاضة صدرعن بعض القيادات الرسمية الفلسطينية تصريحات وتعليقات تقول ان الهبة الشعبية لن تستمر أكثر من أسبوع أو اسبوعين وربما شهر على أكثر تقدير. وأكثر المتفائلين قال بان الانتفاضة لن تستمر أكثر من ثلاثة أشهر.

وترافقت مع هذه المواقيت تصريحات أخرى تحث القيادة الفلسطينية على الاسراع في استثمار الانتفاضة سياسياً وعدم تفويت الفرصة التاريخية لان الشعب سيتعب بعد شهر أو شهرين.

وأخذت بعض القيادات، في ضوء هذه التوقعات، تستعجل عملية الاستثمار خوفاً من ضياع الفرصة وفوات الوقت. فبدأت عمليات دفع البرنامج السياسي الى الوراء بدلاً من تطويره الى الامام.

واخذ البعض يلوم الشعب وقياداته التاريخية السابقة، و يتهمه بالقصور النظري والغباء السياسي لانه لا يفهم المعادلات الدولية وموازين القوى، وشن البعض الآخر حملة شعواء على التضحيات المجانية التي دفعها الشعب لتحقيق مطالب متطرفة لا تأخذ بالاعتبار الظروف الدولية والاقليمية. وعاتبت بعض الاصوات القيادات السياسية التاريخية السابقة في عدم قراءة المعادلات، وهو الامر الذي ادى بها الى رفض قرار التقسيم، والقرار ١٨١ والقرار ٢٤٢ والقرار ٣٨٣، مما ادى الى خسارة كل فلسطين وتشريد معظم الشعب عن ارضه! وانتقد البعض الآخر الاضرابات السياسية ضد وعد بلفور و يوم التقسيم.

انطلاقاً من هذا الفهم السياسي المتناقض أصلاً مع منطق الانتفاضة أخذت هذه الاصوات تدعو الى تثمير الانتفاضة وعدم تفويت الفرصة انطلاقاً من اعادة صوغ البرنامج السياسي المرحلي الذي تم التوصل اليه بعد حرب اكتوبر (تشرين) ١٩٧٣ واقرار خطة جديدة ومعدلة تأخذ بعين الاعتبار الموازين الدولية والاقليمية التي تقضي الآن بالتخلي عن برنامج التحرير الكامل والقبول بنصف الارض أو ربعها وأي شيء يعرض على المنظمة، بحجة أن أي «شيء أفضل من لا شيء».

هكذا، وبسرعة البصر. ساقت هذه الاصوات الانتفاضة الى كامب ديفيد جديد، والى زاوية ضيقة من السهل الدخول اليها ولكنه من الصعب الخروج منها عندما يحين الظرف و يكتشف القادة حقل الالغام الذي دخلوا اليه.

وكان الاعتقاد عند هذا البعض ان المعادلة الدولية ناضجة وان الظروف الاقليمية مهيأة لإعطاء الشعب الفلسطيني بعض الارض في حال تم التخلص من العقبة الكأداء وهي: عناد الشعب الفلسطيني واصراره على التمسك بكل الارض ورفض القرارات الدولية التي اتفق المجتمع الدولي على حدها الادنى.

وكان الظن عند هؤلاء ان المشكلة في عناد الشعب الفلسطيني وليس في عناد اسرائيل، وان المصيبة هي في رفض الشعب الفلسطيني ما يعرض عليه وليس في رفض اسرائيل ما يعرض عليها واصرارها على التوسع والمطالبة بالمزيد من الارض لاستيعاب المزيد من المهاجرين اليهود من العديد من البلدان.

وسارت الانتفاضة على خط معاكس للبرنامج السياسي ولمختلف التوقعات والتحليلات. فالانتفاضة لم تتوقف في الشهر الثالث بل دخلت سنتها الثالثة، والقيادة الرسمية التي وافقت على القرارات الدولية لم تتجاوب معها عواصم القرار في اوربا واميركا والاتحاد السوفياتي، والدولة الفلسطينية التي كان يعتقد البعض ان الشعب الفلسطيني أوقف قيامها لم تقم على الرغم من القبول النظري بها. ودعوات عدم تفويت الفرصة التاريخية أعطت فرصة سياسية للعدو لتحسين علاقاته مع دول المعسكر الاشتراكي واعادة علاقاته الديبلوماسية مع العديد من الدول المصنفة انها صديقة للعرب. وحتى الآن ما تزال اسرائيل تناور وتكسب الوقت وتحسن موقعها التفاوضي في الوقت الذي نحن فيه نفرط بالقضية متراً بعد متر وشبراً بعد شبر.

اذن أين هي الازمة؟ الاجابة هنا تتطلب معرفة أصل المشروع الصهيوني وطبيعته التوسعية والعدوانية وارتباطه التاريخي في المشروع الغربي المضاد للمشروع الاسلامي وحضارة الامة وتاريخها.

ومن دون فهم المشروع الصهيوني ومعرفة طبيعته القائمة أصلاً على الاحتلال والعدوان والتوسع وتم طرد الشعب واستيعاب المهاجرين وتوطينهم ومن ثم العودة مرة أخرى الى الاحتلال والعدوان والتوسع وثم استقدام المهاجرين وتوطينهم مكان أصحاب الارض، من دون هذا الفهم لطبيعة العدو فان هناك خللاً سيبقى يعطل كل حركة سياسية بغض النظر عن هو يتها الفكرية والايديولوجية.

ان تاريخية المشروع الصهيوني وتطوره تؤكد ان طبيعة مشروع العدو هي طبيعة غير تفاوضية وضد التصالح وهي قائمة اساساً على المواجهة والتصادم. ولايفيد هنا اذا تنازلنا عن نصف الارض أو ربع الارض ما دام الهدف الرئيسي للمشروع هو المزيد من التوسع لاستيعاب المزيد من المستوطنين. والدليل الواضح على ذلك هو ان القيادة الرسمية تخلت عن شعار تحرير فلسطين من البحر الى النهر وقبلت فكرة الدولة في الضفة والقطاع والاعتراف المتبادل بدولة العدو، أما تل أبيب التي لم تخرج عن فكرة «ارضك يا اسرائيل من الفرات الى النيل»، فتخلي اسرائيل عن مشروعها الاصلي ليس مسألة ارادية ولا هو مجرد قرار تتخذه هذه الحكومة الاسرائيلية أو تلك، فالمشروع الاسرائيلي هو أقوى من ارادة حكومات تل أبيب لانه اساساً يتعلق باستراتيجية كبيرة تتجاوز حدود فلسطين الى حدود سورية ولبنان والاردن ودول الجوار العربية. وقد أكد اسحق شامير هذه الاستراتيجية في تصريح له حول اليهود السوفيات.

وعندما اضطرت تل أبيب للتراجع عن سيناء عقب توقيع اتفاقية الانسحاب في نيسان (أبريل) ١٩٧٥ بدأت الحرب الاهلية في لبنان في نيسان (أبريل) ١٩٧٥. وكانت اسرائيل كلما تراجعت عن خطوة في سيناء تقدمت أكثر من خطوة في لبنان، وعندما حان موعد الانسحاب الكامل من سيناء في ربيع ١٩٨٢ نفذت غزوها للبنان في حزيران (يونيو) ١٩٨٢ وحاصرت بيروت واخرجت قوات منظمة التحرير من العاصمة اللبنانية.

اذن الجديد في القضية الفلسطينية هو القديم عينه. لاجديد سياسياً في الاستراتيجية الاسرائيلية بل الجديد هو في استراتيجية التراجع العربية الرسمية التي بدأت بخطوة المفاوضات الكيلومتر ١٠١ ولم تنته حتى الآن.

وحتى نقاوم استراتيجية المواجهة والصدام التي يتبعها العدو لابد أولاً من مقاومة استراتيجية التراجع العربية ليتم في اطارها ترتيب اوراق اولويات المواجهة بين المشروعين وهما الغرب في خطته التفكيكية والاسلام في مشروعه التوحيدي.

وبين المشروعين هناك الانتفاضة المستمرة وهناك أيضاً انتفاضات كثيرة في أكثر من مكان وزمان عربيين.

دولة العدو/تفاقم آثار الانتفاضة على الكيان الصهيوني

مع دخول الأنتفاضة/الثورة عامها الثالث، بات واضحاً للجميع أنها تمثل التحدي الحقيقي للكيان الصهيوني، بل للمشروع الصهيوني برمته في المنطقة، وعلى حد تعبير يديعوت احرنوت (١-٤-١٩٨٨) فقد [وضعت الانتفاضة في المناطق المحتلة، قدرة اسرائيل على الصمود أمام أحد أخطر إختباراتها منذ أربعين سنة من وجودها].

لقد تركت الانتفاضة/الثورة آثارها على كافة نواحي الحياة السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية في الكيان الصهيوني. فالى جانب العبء الاقتصادي الذي فرضته الانتفاضة على إقتصاد العدو والذي تمثل في تراجع أداء معظم قطاعات الاقتصاد على مدار العامين السابقين فهناك المأزق السياسي حيث وضعت الانتفاضة كافة قوى المجتمع الاسرائيلي واتجاهاته السياسية أمام خيارات وتحديات حقيقية ومفصلية.

الحكومة الاسرائيلية متهمة بالتقصير وعدم قدرتها على قمع الانتفاضة وايقافها وكذلك بفشلها في السيطرة على المناطق المحتلة وإدارتها وخلق أناس قادرين على تنفيذ سياساتها فيها... الأحزاب الأسرائيلية لا سيما الحزبين الرئيسيين (العمل والليكود) يزداد الصراع حدةً في داخلهما وفيما بينها البين في ظل حالة من التخبط وفقدان الثقة بالنفس وعدم التوازن بشكل لا يبعث على الارتياح لدى رجل الشارع الاسرائيلي، إن لم يكن مصدراً للقلق والفزع الذي بدأ الصهاينة يعيشونه هذه الايام... الرأي العام الأسرائيلي يجنح الى التطرف وترتفع أسهم الأحزاب الأسرائيلية الدينية الصغيرة وتصبح فرص الرهان في إنتخابات الكنيست الأخيرة. وفي إستفتاء أجرته صحيفة «نيوزويك» الأميركية بالهاتف شمل ستمائة واثنا عشر يهودياً أعتبر ٤٠ في المئة منهم أن الاجراءات التي تقمع بها (اسرائيل) الانتفاضة مناسبة فيما إعتبرها ٤٠ في المئة آخرون لينة «جداً». «ديفيد ليفي» من الليكود يصرخ قائلاً [إن كل شيء من حولنا يشتعل على الصعيدين العسكري والسياسي ومعنويات السكان إنهارت فالى متى نستمر بتطبيق سياسة النعامة] (جيروزليم بوست ١٩٨٨/٦/١٥).

لقد زعزعت الانتفاضة/الثورة ثقة الجمهور الاسرائيلي في المؤسسة العسكرية التي حظيت باجماع الرأي العام اليهودي على مدار تاريخ طويل باعتبارها ضمانة نجاح المشروع الصهيوني والتمكين لكيانه على أرض فلسطين. الجيش الاسرائيلي لم يعد في نظر الاسرائيلي (الجيش الذي لا يقهر). تقول «حنةزيمر»: رئيسة تحرير صحيفة دافار فيما تنقله (صحيفة علهمشمار (١٩٨٨/١/٨)، وفي الأشهر الأولى للانتفاضة (إن هؤلاء الشبان الفلسطينيين في مخيمات اللاجئين الذين يحاولون التخلص من حكمنا برشق الحجارة والتظاهرات وإشعال النار بإطارات السيارات وزجاجات المولوتوف قد هزمنا بمفهوم معين...).

إن هذه الهزيمة التي يُمنى بها «الجيش الأسطوري» أمام أطفال الحجارة على مدار عامين أصبحت تشكك الجمهور الاسرائيلي في قدرة دولته على الانتصار في أية حرب قادمة، تشارك فيها جماهير الوطن المحتل بهكذا دور. لقد حطمت الانتفاضة الاستراتيجية الاسرائيلية في الحرب القائمة على التفوق التكنولوجي ونقل المعركة الى الأرض العربية. لقد نقلت الانتفاضة المعركة الى عقر دار العدو وانهارت نظرياته الأمنية مما أدى الى تحطيم الروح المعنوية للاسرائيلين وانتشار الرعب في أوساطهم. في تقرير «لرويتر» نشرته القبس الدولي (٥-١٢-١٩٨٩) وينقل أقوال بعض الأسرائيلين حول تأثير الانتفاضة على مجتمعهم تقول «أليزا دايان» (٤٩ عاماً) وهي أم لخمسة أطفال (لا أستطيع أن أفتح بابي انني أشعر بالخوف، إنني أشتبه بالجميع، لقد نجح العرب من جعلنا نحس بهذا الشعور.

إن المجتمع الاسرائيلي في ظل الانتفاضة يعيش أزمة إجتماعية ونفسية ذات أبعاد من الصعب حصرها في هذه المرحلة. يقول الدكتور «عادي آوفير» المحاضر في جامعة تل أبيب الذي رفض الخدمة العسكرية في الضفة الغربية وقطاع غزة أن العنف الذي يزداد يومياً داخل المجتمع الاسرائيلي ما هو إلا إنعكاس للعنف والقمع الجاري في الأراضي المحتلة (الحياة-١٩٨٩/١٢/٢٠م).

لقد أصبحت ظاهرة رفض الخدمة العسكرية وكذلك الإنتحار بين الجنود الاسرائيليين مصدر قلق داخل الأوساط العسكرية الاسرائيلية. وقد جاء في تقرير نشرته صحيفة نيوزويك الامريكية ان سبب ارتفاع نسبة الانتحار بين الاسرائيليين يعود الى الانتفاضة إذ لا يجد الكثير من الجنود الخدمة. العسكرية في الضفة الغربية وقطاع غزة (الحياة ١٩٨٩/١٢/٢٠). عندما عرض التلفزيون الاسرائيلي صورة الجنود الاسرائيليين ظهروا وهم يضربون شباباً فلسطينيين في منطقة نابلس ويكسرون عظامهم علق بعض هؤلاء الجنود بقولهم (ليس مفهوماً بالضبط ما هي الصورة التي هزت قائد المنطقة الوسطى. إن الضرب الذي شاهدناه في التلفزيون في بحر ما يجري في المناطق «المحتلة» وإذا كانت هذه الصورة قد هزته فانه حتماً لا يعرف ما يدور على الساحة) (نقلاً عن «بلسم-نيقوسيا» سبتمبر ١٩٨٨).

ويخشى الاسرائيليون من انتقال ممارسات الجيش الاسرائيلي الوحشية الى داخل المجتمع الاسرائيلي الذي يحمل بتركيبته العرقية غير المتجانسة مخزوناً كبيراً من العوامل المساعدة على ظاهرة العنف الاجتماعي.

يقول الصحفي يوئيل ماركوس في هآرتس (١٠-٩-١٩٨٨): [يثير الوضع هذه الأيام الغضب والاحباط الى حد يصل الى النحيب الفعلي... كم من الوقت يلزم لقض مضاجعنا وإدخالنا الى الضغط والرعب والهستيريا والخصومات بين الاشقاء، إنه أمرٌ لا يصدق].

الاذاعة الاسرائيلية (٣٠-٧-١٩٨٨ م) ذكرت (أن أكثر من (٢٠٠) ألف شخص في اسرائيل يمتلكون سلاحاً فردياً ومعظم الذين يقومون بابتياع الأسلحة يبررون ذلك بالأحداث في المناطق (المحتلة). وبزيادة الأعمال الاجرامية في البلاد).

وضمن هذا السياق ذكر إحصاء أصدرته الشرطة الاسرائيلية عن تصاعد الجريمة في «اسرائيل» خلال عام ١٩٨٩ أن جرائم العنف بكل

فلسطين في مشروع النهضة الاسلامية المعاصرة

مقدمة

تعيش الأمة الاسلامية اليوم وضعاً في غاية الصعوبة والتعقيد، وخاصة إن قورن هذا الوضع بماضي الأمة أو بحاضر الأمم الأخرى. ذلك أن الامة الاسلامية تعاني من حالة تمزق داخلي، أطاح بكيانها التاريخي كأمة واحدة وفرض عليها مستويات متعددة من التفسخ. فهناك الأنقسام الى جماعات وطنية أقليمية، والانقسامُ الى جماعات طائفية وعرقية ودينية، وتفسخ منظومة القيم الحاملة للجماعة. وتعاني الأمة الاسلامية من حالة تخلف اقتصادي وصناعي، ومن حالة تخلف فكري يطول معظمَ مناحي ومناهج المعرفة الانسانية بما في ذلك المعارف الاسلاميةِ ذاتها. وقد جرّت حالةُ التخلفِ وصاحبت في الوقت نفسهِ حالةً من التبعية شبه الكاملة وعلى كل المستويات ربطت مختلف أقطار بلادِنا بمراكزِ القرار الدولي في الكتلة الغربية.

وتعاني الأمةُ الاسلاميةُ أيضاً من فرض نظامِ معيشةٍ ونمط حضارةٍ وأخلاق عليها، تروجُ له وتدعمُه أجهزةُ ومؤسسات النظام الرسمي: ب لا يتفق مع تقاليد الاسلام وأخلاقه ولا مع انظمة وقوانين التشريع الاسلامي، ولا مع ما أرساه الاسلامِ في بلادنا من قيمٍ على مر القرون الاربعة الماضية.

ولأن حالةَ الانقسامِ والتفسخ، وحالةَ التخلفِ والتبعيةِ، وقيمَ المنظومةِ الحضاريةِ الغربيةِ تصطدم جميعها مع التوجه العام لجماهير الأمة، فإن العلاقة بن الأنظمة الرسمية وجماهيرها في الغالبية العظمى من أقطار الاسلام، هي سمةَ القهرِ والاستبدادِ، فان كانت الأمةُ ترفض وضعها الراهن وتطمحُ الى تغييره، فان درجةً عاليةً من عنف السلطة تصبح ضرورية للحفاظ على الراهن وقهر ونفي كل محاولات التغيير.

ولم تتعثر محاولاتُ النهضة في بلادنا بسبب عنف النظام الرسمي واستبدادِهِ فقط، بل تعثرت أيضاً لأن أجزاء عدة من العالم الاسلامي مازالت تقع تحت إحتلال أجنبي مباشر، بل أن نقطةَ القلبِ من العالم الاسلامي أصبحت مركزاً لمشروعٍ استعماريٍ غير مسبوق في التاريخ البشري، هو المشروع الصهيوني، تختلط فيه معاً سمات ومصالح التحدي الغربي الحديث، وعوامل وتوجهات الأسطورة الدينية اليهودية، ومخزونها العرقي والعنصري وذلك ضمن نظام استيطان بشري توسعي. ان هذا الوضع الذي خيَّم على حياة أمتنا بشكل تدريجي منذ نهاية القرن التاسع عشر استدعى عدةَ محاولات للنهوض والاستقلال، قادها علماء وزعماء مسلمون كبار تمتعوا ببصيرة نافذة وحملوا هماً اسلامياً عميقاً. وقد تعرضت محاولاتُ النهضة تلكَ للاجهاض ولم يكتب لها النجاحُ في زمانها رغم أنها تركت لنا تراثاً واسعَ الأمتدادِ والعمق من الخطأ والصواب. وكان فشلُ تلك المحاولات أو اجهاضها يعود في معظم الحالات لاسباب ذاتية وموضوعية معاً، لاسباب تعلقت بالداخل الاسلامي وبالخارج الغربي في وقت واحد. ونستطيع أن نعدد هنا عشرات الأمثلة: من جمال الدين الافغاني ومحمد عبده، الى ثورة التنباك في ايران، الى حركة الخلافة في الهند، الى حركات الوهابية والسنوسية والمهدية، وصولاً الى محاولتي حسن البنا والنبهاني، رحمهم الله جميعاً وأسكنهم فسيح جناته.

ولا تزال مسألةُ النهضةِ بمجالاتها وآفاقها وسبل تحقيقها تلح على الضمير والعقل والهم الاسلامي العام. لا تزال مسائل تحقيق الوحدة وحل مشكلة التخلف وهيمنة الغرب والتبعية والتصدي للكيان الصهيوني ومختلف أشكال الاستعمار ونقاط ارتكازه؛ لا تزال مسألة انهاء سيطرة الدولة الحديثة بالعنف والاستبداد وتحقيق الحرية؛ هي محورَ التفكيرِ والنظرِ والعملِ الاسلامي المعاصر. ويبدو أن السؤال الابتدائي لهذه المساهمة لابد أن يتعلق بالسياق التاريخي الذي أوصل أمتنا لوضعها الراهن. فكما كل الظواهر ومراحل الهبوط الكبرى في حياة الشعوب والأمم، تصبح الاجابةُ على لماذا حدث ذلك، المقدمة الضرورية

أنواعها تخرج عن نطاق السيطرة، وأنها شكلت ٢٨،١ في المئة من مجموع الجرائم، كما قفزت جرائم الاعتداء على حياة الانسان الى نسبة هائلة بلغت.١٩ في المئة، وزاد تعاطي المخدرات الخطرة بنسبة خمسين في المئة، والاغتصاب الجنسي ٣٥ في المئة (الحياة ١٩٩٠/١/٩) وكان من الطبيعي في ظل هكذا ظروف أن يعاني المجتمع الاسرائيلي من ظاهرة الهجرة المعاكسة والنزوح الى الخارج لاسيما من ذوي الكفاءات العلمية والتقنية الذين يشعرون بأن «اسرائيل» لم تعد المكان المناسب الذي ينعمون فيه بالأمن و بالاستقرار ففي استطلاع أجرته صحيفة «دافار» بعد حوالى نصف عام من اندلاع الانتفاضة (١٨-٥-١٩٨٨م) على عينة من طلاب المدارس الثانوية في «اسرائيل» إعتبر ٣١،٥ في المئة منم أن ظاهرة النزوح من إسرائيل مفهومة من ذاتها وذلك على خلفية الوضع الأمني والسياسي والاقتصادي كما رأى ٢٧ في المئة منهم في أنفسهم نازحين محتملين، و ١٥،٥ في المئة يريدون النزوح مع عائلاتهم حالياً.

وتحاول دولة العدو مواجهة هذه الظاهرة بوسائل شتى، لعل أهمها تعويض هجرة هؤلاء الاسرائيليين باستجلاب موجات كبيرة من المهاجرين الي هود من الاتحاد السوفيتي. ولكن هذه الخطوة ليست بلا ثمن ففي ظل الأوضاع الاقتصادية المتردية وتفاقم مشكلة البطالة التي قُدر في ظلها عدد العاطلين عن العمل الذين يتلقون تعويضاً في نهاية ديسمبر ١٩٨٩، بـ ٥١،٣٠٠ وهو رقم قياسي فإن إستيعاب اليهود الجدد لن يكون أمراً هيناً.

بكل المقاييس فقد وضعت الانتفاضة/الثورة الكيان الصهيوني أمام مأزقه التاريخي وقدره المحتوم.

للاجابة على كيف يمكن الخروج منه باتجاه النهضة والقيام.

[١]

كان أولُ تحولٍ سلبي رسب في تاريخنا الاسلامي هو التحولُ من نظام سلطة الشرْع المجسد في سلطة الأمة الى نظام تركيز السلطة، أو من الخلافة الراشدة الى المُلك كما ذكر ابن خلدون. وبتحول الحكم الى فئة صغيرة داخل جسم الأمة الكبير، بدأ اتفاقُ أو اختلافُ مصالح الفئةِ مع مصالح الأمة ككل يترك آثاره على وحدة جسم الأمة وعلى أولو ياتها، وحتى انتاجها في علوم الفقه والكلام والعقائد وفقه السياسة والحكم...الخ.

وما كان لجسم الأمة الاسلامية أن يصاب بالضعف والوهن نتيجة لذلك/في سنوات قلائل، ذلك أن الدفعةَ القرآنيةَ الموافقةَ لنصف القرن الهجري الأول كانت مازالت قائمة على حمل رسالة دين التوحيد الى انحاء العالم الأربع. كما أن الفتوحات الاسلامية الأولى استطاعت أن تخرج وبنجاح كبير تحدي الدول الكبرى الرئيسية لذلك الزمان من ساحة المواجهة مع الاسلام والمسلمين، على أم تركيزَ السلطةِ والحكمِ الكاسر استمر في الفعل وترك الآثار السلبية على جسم الأمة وموقعها، حتى جاء العثمانيون في أكثر حقبات تاريخيا حراجة وحساسية. فقد كرس العثمانيون من جهة ميراث تركيز السلطة وحصر الحكم وعزل الأمة عنه وواجهوا في الوقت نفسه الغربَ الاوروبي.

ان مما لاشك فيه أن العثمانيين ورغم ضعف الجسم الاسلامي بعد قرون من تراكم السلبيات وعوامل الانحطاط، استطاعوا قيادة الأمة في عملية تقدم ودفاع استمرت لاكثر من أربعة قرون، ورغم محاولات التصحيح والنهوض التي حاولها بعض السلاطين في القرن التاسع عشر الا أن اتجاه الهبوط كان أقوى بكثير من قوة دفع المحاولات النهضوية التي جاءت جد متأخرة.

منذ نهاية القرن السادس عشر، وبعد سقوط الاندلس بدأت أوروبا مشروعها الحديث في مواجهة العالم الاسلامي ومحاولة اختراق حصونه. وقد أدت الاكتشافات الجغرافية وتراكم الثروات المنهوبة والأيدي العاملة المستعبدة من ناحية، ثم استقرار التحول البروتستانتي الى وضع بذور التطور الرأسمالي في أجزاء أوروبا الغربية ومن ثم بناء الدولة الأوروبية القومية الحديثة، التي لم تواصل المشروع الاستعماري فقط، بل جعلت منه نموذجاً حضارياً. وفي قلب المجتمعات البروتستانتية الأوروبية الحديثة، على جسور سوقها الرأسمالي كان اليهود يعودون الى الغرب الأوروبي جزءاً منه ومن مشروعه الاستعماري، ويعيدون من جديد تركيب الأسطورة الدينية في حركة صهيونية سياسية استهدفت فلسطين، قلب العالم الاسلامي، وقلب الدولة العثمانية. ان النموذج الغربي الحديث، نموذج السيطرة والعنف والقهر ونموذج تركيع الخارج لصالح المركز الأوروبي، ونموذج إلحاق الشعوب الأخرى وتكريس تبعيتها، وجد في الحركة الصهيونية حليفاً على صورته وجزءاً من تراثه الديني، وتجلياً لمشروعه. وعلى حراب هذا التحالف اسقطت الدولة العثمانية، وأخرج الاسلام من معادلة القوة الدولية الجديدة وفرضت التقسيم والتجزئة على بلادنا ووطننا. وبعد أقل من ثلاثين عاماً على هزيمة العثمانيين وتقسيم دولتهم واحتلال اجزائها، كانت دولة الكيان الصهيوني تنتصب في شرق المتوسط، وفي قلب فلسطين.

لم يكد ممكناً وبأي حال من الأحوال أن تنجز الحركة الصهيونية أهدافها بدون أن تكون جزءاً من الهجمة الغربية على العالم الاسلامي، كما لم يعد ممكناً تكريس تبعية والحاق أقطار العالم الاسلامية بالمركز الأوروبي الغربي بدون وجود دولة الكيان الصهيوني. لقد تلازم الاثنان حتى درجة تماهي أحدهما بالأخر. ولم يعد ممكناً فصل مسألة المواجهة مع الغرب عن مواجهة العدو الصهيوني، أو بصفة أخرى الحديث عن النهضة في بلادنا بدون أخذ الوجود الصهيوني في الاعتبار.

[٢]

بعد قيام دولة العدو انقسمت اتجاهاتُ الرأي والعمل فث منطقة الحوض العربي والاسلامي تجاه مسألة مواجهة العدو الصهيوني ومسألة النهضة بكل أبعادها ومستوياتها. وكان الاتجاه السائد هو الداعي الى التركيز على تنمية وبناء المجتمعات العربية وتحقيق وحدة أقطارها ثم التوجه نحو مواجهة العدو الصهيوني. ولعل مصر الناصرية هي أبرز مثال على ذلك.

أحتوى النظام الناصري وروج لعناصر وسياسات معادية للاسلام وحاول بكل قواه إضعافَ وتصفيةَ القوى الاسلامية السياسية. ومن ناحية اخرى توجه نحو تحقيق تنمية ثقافية وتعليمية وصناعية، على أسس اشتراكية، فوسع من الملكية العامة على حساب الخاصة، وأقر التعليم المجاني، وحاول قطع مصر عن السوق الرأسمالي الغربي. وبطرحه لمشروع الوحدة العربية خاض صداماً واسعاً مع المصالح الغربية في المنطقة.

وكان للتجربة الناصرية نتائج متباينة. فهي من ناحية كرست إستبداد الحكم وخلقت إنقساماً اجتماعياً واسعاً، وشقاً أوسع بين السلطة ذاتها والجماهير. وبتهميشها للقوى الاسلامية وصدامها مع قيم الاسلام التاريخية عميقة الإمتداد بين جماهير الجماعة المصرية، جعلت مسألة التنمية الشاقة عرضة للضربات من الخارج والداخل على السواء. وعندما حلت هزيمةُ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ كانت التجربةُ الناصرية قد وصلت الى مرحلة من الضعف والانهاك لم يعد بإمكانها بعدها أن تقوم من جديد. وعبر كل مراحل التجربة الناصرية كان تعثر المشروع ينعكس بمزيد من العنف والاستبداد وقهر الجماهير.

ان الملاحظة الهامة على التجربة الناصرية بكل تعقيداتها أن مسألة النهضة كانت مستحيلة في ظل وجود التهديد الصهيوني وكانت أكثر استحالة داخل قلب الحوض العربي الاسلامي في ظل عزل قيم الاسلام وقواه السياسية والروحية.

فهل كان ممكناً تحقيق النهضة والاستقلال الاقتصادي في ظل سلام مع العدو الصهيوني؟.

ان المرحلة اللاحقة من تاريخ مصر، أي مصر الساداتية مثلت أيضاً أهم الاجابات على ذلك السؤال. فمنذ نهاية حرب أكتوبر (تشرين الأول) أصبح واضحاً توجه النظام الساداتي الى خيار صناعة السلام مع العدو الصهيوني والتركيز على بناء مصر ورفاهيتها. وقد تجلى الخيار الساداتي بإعادة ربط الاقتصاد المصري بالسوق الغربي وبإعتماد سياسات واستراتيجيات ملحقة بالقرار السياسي والاستراتيجي الغربي. فارتفعت ديون مصر الخارجية وتعمق الانقسام المجتمعي والسياسي داخل مصر حتى انفجر في صورة عنف سياسي واسع وموجة عداء بارزة وعميقة للغرب ومنظومة قيمة وسياساته. والذي لابد من الاعتراف به ورؤيته أن مختلف أنظمة أقطار العالم الاسلامي لن تجد ضمن خياراتها الآن إلا واحداً من أثنين: أما أن تقبل بحالة السلام والمصالحة وتربط مصيرها بالمنظومة الغربية، وتكرس بالتالي حالة شاملة من التبعية على مستويات الثقافة والفكر والتعليم والسياسة والاقتصاد، وأما أن تخوض صراعاً ضد تلك المنظومة بما في ذلك مركزها في المنطقة، العدو الصهيوني ويحاول نهضة مستقلة مرتكزة على أسس اسلامية شاملة.

ان التحالف الغربي الصهيوني لم يقف ضد محاولات مصر للاستقلال والنهوض، حتى في ظل نظام غير اسلامي، بل وقف أيضاً ضد محاولات كل الدول العربية لتحقيق التنمية والاستقلال. وقد رأينا التحالف الصهيوني- الغربي، ولا يزال، يوجه ضربات متوالية لسوريا، ويساهم مساهمة رئيسية في انهيار لبنان واستمرار معاناته، كما رأيناه يضرب محاولات العراق للتصنيع النووي، ويجهض محاولات باكستان ي نفس المجال ويفرض بالتالي على ذلك القطر الاسلامي الهام أن يكون دائماً الطرف الأضعف في معادلة التوازن الاستراتيجي مع الهند. كما نرى العدو يواصل محاولاته لتكريس وجوده داخل النخبة التركية الحاكمة ويحاصر الاسلام والمسلمين في قارة الاسلام المستقبلية إفريقيا، كما فعل ويفعل في لبنان وفي ايران، ويقف ضد تسليح السعودية ومصر (رغم معاهدة السلام)، والامثلة في ذلك المجال لا تعد ولا تحصى. أن عملية التحول نحو الاسلام في أي قطر من أقطار العالم الاسلامي هي الأخرى عرضة لضربات التحالف الغربي- الصهيوني.

وان كنا نشهد اليوم تجربة هامة للاسلام في السودان، فاننا نشهد أيضاً يد العدو وقد امتدت عبر اعادة العلاقات مع أثيوبيا، وانتشار الخبراء الاسرائيليين في معظم انحاء القرن الافريقي وجنوب السودان، ليس فقط لاطالة أمد الحرب في الجنوب وانهاك الدولة والشعب المسلم في السودان، بل أيضاً لإكمال حلقات حصار مصر في منطقة ينابيع نهرها مصدر مياهها الحيوي.

ان مدلولات هذا الاستعراض السريع يمكن تلخيصها بالتالي:

١- أن التحرك نحو حالة نهوض شاملة في أقطار الحوض العربي الاسلامي بشكل خاص، والعالم الاسلامي بشكل عام لا يمكن اقامته على أسس غير اسلامية وفي ظل تهديد مستمر من العدو الصهيوني.

٢- ان السلام مع العدو ومصالحة المنظومة الغربية والانطواء تحت مظلتها لن يؤدي إلا الى تعميق حالة التبعية وتكري الالحاق والغاء كل مفهوم أو قيمة لاطروحة الأستقلال.

٣- ان عملية التحول نحو الاسلام في بلادنا هي الأخرى مهددة من التحالف الغربي الصهيوني، الذي يطمح الى تكريس حالة التخلف والقهر السياسي والانقسام المجتمعي والسياسي في العالم الاسلامي.

[٣]

تسعى القوى الاسلامية السياسية الى إعادة بناء النظام الاسلامي في بلادها. تسعى الى اقامة حكم اسلامي يستلهم شرع الله ويقوم على أسسه، والى تكريس قيم الخلق الاسلامي بين جماهير بلادها. وتسعى أيضاً الى الانطلاق نحو اقامة نموذج حضاري مستقل يربط بين المؤسسة التعليمية وقيم الاسلام وحاجات الجماعة الوطنية، لا مؤسسة تابعة ملحقة بالنموذج الغربي، ويربط بين حاجات الأمة الاقتصادية والصناعية، لا حاجات السوق العالمي المهيمن عليه من القوى والشركات الغربية، ويربط بين سياسات البلاد وأمنها واستقلالها، لا بين تلك السياسات والموازين الاستراتيجية الغربية المفروضة. وفي سعي القوى الاسلامية لتحقيق ذلك، يصبح من الضروري أن تحقق مسألة تمثيلها لجماعتها الوطنية بكل فئاتها من ناحية، وأن تحقق مسألة انتمائها للأمة الأسلامية بشكل عام من ناحية آخرى.

وتمثيل الجماعة الوطنية يعني أن يستطيع الاسلاميون طرح صيغة توحيدية لفئات الجماعة المختلفة، سواء تلك المختلفة في أعراقها أو في مذاهبها أو دياناتها. كما يعني أن يتقدم الاسلاميون لحمل هموم الجماعة الوطنية الرئيسية، سواء كان ذلك في تصديهم لأي خطر يهدد هذه الجماعة من الخارج، أو كان في تصديهم لحل قضايا الاولويات في الداخل ابتداء من مسألة الحريات الى الازمات الاقتصادية.

على أن من المهم ملاحظة أن التحالف الغربي- الصهيوني لن يسمح للاسلاميين في بلادنا بالوصول الى مرحلة تمثيلهم للجماعة الوطنية وتأسيسهم للنظام الاسلامي. ومن هنا تصبح مسألة تحقيق درجة من ارتباط وتماسك اجزاء الأمة وقواها الاسلامية ضرورية لمواجهة التحدي الكبير.

ولعل نقطة الارتكاز الرئيسية التي يمكن أن تلتقي عندها كل قوى الاسلام وجماهيره هي قضية بيت المقدس. ولا يحقق الألتقاء حول فلسطين درجة واسعة من الحشد فحسب، بل انه سيدفع بقوة داخل كل قطر اسلامي باتجاه تحقيق القوى الاسلامية لهدف تمثيل الجماعة الوطنية. كما أنه وهذا هو الأهم ينقل الصراع مع التحالف الغربي- الصهيوني الى أرض العدو ذاته. وبتصاعد قدرات القوى الاسلامية في حصارها للمشروع الصهيوني، الذي يمثل القلب من التحدي الغربي الحديث للحوض العربي الاسلامي وبتصاعد قدرات الاسلام تلك تزداد مساحة الحرية المتاحة أمام القوى الاسلامية لانجاز مشروعها النهضوي الاستقلالي.

سلام لبنان من سلام المنطقة وحربه من حربها

بعد تفاؤل محسود عاد الوضع البناني في جمود من جديد، واخذت التناقضات تبرز بين مختلف الاطراف وفي أشكال متعددة. فهناك اولاً الحركات السياسية بين ميليشيات «القوات اللبنانية» وحزب الكتائب وبين قيادة الجيش اللبناني في قصر بعبدا. وهناك ثانياً عدوى الصراعات في الساحة الوطنية والاسلامية على أثر تجدد الاقتتال الاهلي بين حزب الله وحركة أمل في مناطق البقاع الغربي وبيروت الغربية وأقليم التفاح. وهناك ثالثاً بداية قبول في التحالفات السياسية الاقليمية. بعد اعادة العلاقات السورية ـ المصرية، وهو أمر له دلالته ومن المتوقع ان ينعكس في الساحة اللبنانية في مختلف مناطقها وطوائفها.

هذا الجديد الشقديم في لبنان ـ يجد تفسير في أمر واحد وهو ان ما يسمى بمشكلة الشرق الاوسط ما زال بعيداً عن الحل، وان الحل في لبنان بات يرتبط الى حد كبير بمسار الحل في المنطقة. واذا تعقد حل القضية الفلسطينية فمنى ذلك ان الحل اللبناني مازال بحاجة الى وقت ربما دخل في ثلاجة التجميد بانتظار التطورات في المنطقة واتجاه الرياح الدولية وانعكساها الاقليمي في المشرق العربي.

واذا عدنا قليلاً الى الوضع الدولي نكتشف ان المستفيد الاكبر من انهيار المعسكر الاشتراكي وتدهور الوضع الداخلي في الاتحاد السوفياتي هو الغرب وحده وحليفه الاستراتيجي في المنطقة العدو الصهيوني. أما المكاسب العربية ـ الاسلامية فهي حتى الان مجرد مكاسب معنوية ولم يستطع الوضع العربي ـ الاسلامي بسبب تشتته وانقسامه وعدم اتفاقه على قضية واحدة وموحدة تحويل التطورات الدولية الى عامل ايجابي لمصلحة القضايا المصيرية.

أما اذا نظرنا الى العدو الصهيوني فنجد ان مكاسبه مادية أكثر مما هي معنوية. فقد نجحت تل ابيب في الاستفادة من تدهور الوضع الداخلي السوفياتي باتجاه تحسين علاقاتها السياسية مع المعسكر الاشتراكي المنهار والتلويح بالاستثمارات المصرفية والبنكية مقابل فتح قناة هجرة اليهود السوفيات الى فلسطين المحتلة مباشرة ومنن دون المرور في محطات وسيطة كما كان يحصل سابقاً. وهذا يعني بلغة الارقام ان اسرائيل ستنجح في استقطاب أكبر كمية من اليهود السوفيات بعد ان كانت الولايات المتحدة هي المكان المفضل لهجرة اليهود في السابق.

وقد عمدت «اسرائيل» لتحقيق هدفها هذا باتباع اسلوب مزدوج فمن جهة اقنعت الادارة الاميركية بقفل باب اعطاء تأشيرات دخول لليهود السوفيات تحت حجة ان حرية السفر والتنقل باتت مفتوحة ولم يعد اليهودي يعتبر لاجئاً سياسياً كما كان في السابق، ومن جهة ثانية نجحت في اقناع الكرملين بضرورة فتح خط جوي مباشر بين تل أبيب وموسكو لان الاوضاع الامنية في بوخارست (رومانيا) غير مساعدة في اختيار وجهة سير المهاجرين.

ونتيجة هذا الوفاق الدولي مثل مسألة هجرة اليهود السوفيات توافقت مصلحة تل ابيب مع السياسة الاميركية والتوجه السوفياتي وبات من المتوقع ان ينتقل الى فلسطين المحتلة أكثر من ربع مليون يهودي ولا يحق لهم المغادرة الى مكان آخر لانه لا خيار أمامهم سوى البقاء في اسرائيل.

هذا التطور الخطير يطرح أكثر من علامة استفهام. أولاً، أين سيتم اسكان هذه الكتلة البشرية في الارض المحتلة؟ ثانياً: كيف سيتم تدبر امورهم الاجتماعية وتوفير فرص العمل لهم؟ ثالثاً: كيف سيتم استيعاب هذه الموجة القوية من الهجرة في الوقت الذي تعاني الارض المحتلة من الاختناق السكاني؟ رابعاً: كيف سيتم تلبية حاجات هذه الكتلة السكانية من مدارس، ومعامل، وأرض زراعية، وأمكنة للسكن وأخيراً توفير الماء والغذاء والكساء لهم؟

كل هذه الاسئلة يجب اخذها بعين الاعتبار، كما انه يجب وضعها على جدول الاعمال بالقول «كيف نطالب بالانسحاب من الضفة والقطاع ونحن بحاجة الى اراض جديدة لاستيعاب ربع مليون يهودي جديد؟»».

لقد اراد شامير ان يلمح في تصريحه ليس فقط الى مسألة رفضه الانسحاب من الضفة والقطاع بل استعداد دولة العدو على شن حرب جديدة لكسب المزيد من الاراضي لتكفي العدد الاضافي من اليهود المهاجرين. وبين الحرب الجديدة والواقع الراهن لابد ان العدو سيقوم بتحركات مخيفة خلال السنوات الثلاث المقبلة. أبرزها:

أولاً، سيلجأ الى اسلوب القمع والارهاب ضد الانتفاضة واهلنا في الارض المحتلة بقصد الترويع وربما بهدف التهجير تحت ضجيج حماية الامن الاسرائيلي.

ثانياً، سيقوم العدو ببناء مستوطنات جديدة لاستيعاب الكتلة اليهودية الوافدة وهذا يعني استمرار سياسة مصادرة الاراضي ونسف البيوت وتغيير معالم الحياة والعمران في الاراضي المحتلة.

ثالثاً، التمسك بمبدأ احتلال الجولان والانتقال الى مرحلة استثمار الاراضي الزراعية هناك ومدها بوسائل الحياة والعيش.

رابعاً، تطوير وضع صحراء النقب وجعلها أرضاً قابلة للزراعة والعيش وهذا يتطلب كميات هائلة من المياه لتحويل المنطقة الى ارض استثمار وتشجير وغيرها.

وهنا نعود الى الوضع اللبناني من جديد وارتباطه بوضع المنطقة وعلاقة الحل في لبنان بالحل العام في فلسطين والشرق الاوسط. كلنا يعلم ان اسرائيل احتلت أجزاء واسعة من جنوب لبنان في ربيع العام ١٩٧٨ ثم أقدم العدو مرة ثانية على توسيع دائرة احتلاله في الجنوب في أعقاب غزوه لبنان في صيف ١٩٨٢. وعلى الرغم ان العدو انسحب من معظم الاراضي اللبنانية الا انه بقي مسيطراً على مساحة واسعة من الجنوب اللبناني تقدر بـ ٨٥٠ كيلومتراً مربعاً بحجة ان هذا الاحتلال هو مجرد حزام امني مؤقت لحماية الحدود الشمالية ـ الصهيونية من

في هذا القسم تعيد «الاسلام وفلسطين» نشر بعض المقالات والدراسات التي سبق نشرها في وسائل الاعلام العربية والعالمية المختلفة والتي تهتم بشؤون الاسلام والقضية الفلسطينية. ومن البديهي أن تعكس هذه المقالات آراء كتابها فقط بدون أي مسؤولية لـ «الاسلام وفلسطين» عن محتواها أو اتجاهاتها أو اخطائها السياسية أو التاريخية.

العلاقات بين الدول الاشتراكية و«اسرائيل» في ظل الانتفاضة.

يرى المراقبون ان موقف الاتحاد السوفيتي والبلدان الاشتراكية الاخرى تجاه اسرائيل فيي ظل البريسترويكا والتفكير السياسي الجديد والتغييرات الحالية التي تعيشها هذه البلدان، وفي ظل أجواء الانفراج الدولي السائدة اليوم، أصبح «لينا» والعلاقات المقطوعة بينها أضحت اليوم، أكثر «دفئا» من أي وقت مضى وتحديدا منذ قطع العلاقات الدبلوماسية بين هذه الدول ودولة العدو. باستثناء رومانيا. عام ١٩٦٧، بل ان البعض يتوقع عودة العلاقات بين الاتحاد السوفيتي واسرائيل في القريب العاجل، بعد عودتها الجزئية بين بودابست وتل ابيب في ١٤ سبتمبر ١٩٨٧ وهذه الاخيرة ووارسو في ٣٠ سبتمبر ١٩٨٨، على المستوى القنصلي ومكاتب رعاية المصالح، وبمباركة رسمية من موسكو التي صرح متحدثها الرسمي عن الخارجية السوفيتية بوريس بياديشيف. بعد يوم واحد فقط من اعلان بودابست وتل ابيب. «ان

التعرض لهجمات المقاتلين والمجاهدين اللبنانيين والفلسطينيين. ومع ان الرأي العام الدولي بات يعلم بان الاحتلال المؤقت لمعظم الجنوب اللبناني قد تحول بفضل الزمن الى شبه احتلال دائم وان وضع منطقة الجنوب أصبح الى حد كبير مشابها الى وضع الضفة والقطاع الا ان الرأي العام مازال يتجاهل احتلال اسرائيل للجنوب ويحاول ان يتناسى الاعمال الوحشية التي يقوم بها ضد أبناء بلدات وقرى ومدن الجنوب باثارة المشاكل والزوابع السياسية ضد الوجود السوري في لبنان والوجود الفلسطيني المسلح في منطقة صيدا.

اذن لماذا هذا التجاهل الدولي لوضع الجنوب؟ ولماذا سكوت العالم عن احتلال ٨٥٠ كيلومتراً مربعاً من أراضي لبنان؟ ولماذا تبقى اسرائيل في الجنوب مدة تزيد على ١٢ عاماً (منذ ١٩٧٨) ولا يتحرك الرأي العام للضغط على تل ابيب للانسحاب؟.

يبدو ان هذا السكوت له علاقة بالوضع الاقتصادي الاسرائيلي وحاجة تل ابيب في المستقبل الى اراض زراعية ومناطق سكنية لاستيعاب اليهود وكذلك وأهم من أي شيء آخر حاجة اسرائيل الى مياه الليطاني وروافد نهر الاردن مثل نهر الحاصباني والوزاني. وقد اعربت حكومات اسرائيل منذ ١٩٤٨ والحركة الصهيونية منذ ١٩١٦ الى حاجتها الى مياه لبنان وضرورة تقاسم نهر الليطاني بين لبنان واسرائيل.

واذا قلنا ان هناك طموحات صهيونية لتحويل صحراء النقب الى أرض زراعية وحاجة هذا المشروع الماسة الى المياه، واذا ربطنا هذا الموضوع بزيادة حاجة تل ابيب للمياه لسد النقص من جهة وتلبية حاجات ربع مليون يهودي سوفياتي يتوقع هجرتهم الى فلسطين المحتلة نكتشف ان سر بقاء العدو في جنوب لبنان لا يعود الى خوفه من هجمات المقاتلين والمجاهدين فقط بل انه يتجاوز الاطار الامني ليشمل الاطار التوسعي وحاجة اسرائيل الى اراض جديدة وكميات هائلة من المياه. وقد أكدت دراسة اميركية محايدة ان حاجة اسرائيل في العام ٢٠٠٠ ستتضاعف خلال السنوات العشر المقبلة اذا ارادت فعلاً تطوير زراعتها واسكان ربع مليون يهودي جديد.

لكل هذه الاسباب نعتقد ان العقبات التي ارتفعت في وجه «اتفاق الطائف» ليست عقبات محلية وداخلية فقط بل هناك عقبات خارجية ودولية واسرائيلية. فالحل في لبنان يعني بداية حل مشكلة احتلال اسرائيل للجنوب اللبناني. وحل مشكلة احتلال الجنوب يعني بدية البحث بحلول اخرى تطال الضفة والقطاع. ونعتقد ان هذا أمر غير وارد حالياً لان اسرائيل تفكر في حرب جديدة لاحتلال (وعلى الاقل لتثبيت احتلالها السابق لاراضي الضفة والقطاع والجولان وجنوب لبنان، بغية استثمار مياهها واستغلال ارضها الزراعية واسكان المهاجرين الجدد وتلبية حاجاتهم من ماء وغذاء.

اذن الحلول هي كل مترابط ولا يمكن بفصل حل عن آخر الا اذا كان الحل المقترح جزئي وليس شاملاً. ومادامت اسرائيل تحتل جنوب لبنان الذي احتلته في العام ١٩٧٨ ومادامت ترفض الانسحاب من الجولان والضفة والقطاع فمعنى ذلك ان الحل في لبنان صعب للغاية اذا لم يكن بعيد للغاية. فالسلام في لبنان هو من سلام المنطقة والسلام في المنطقة هو من السلام اللبناني، وكذلك امور الحياة والدين والحرب وغيرها. واذا لم نضع هذه المسألة نصب أعيننا سنبقى نتلهى بالقشور ونضرب وجهنا عن الازمة الحقيقة، فالجنرال ميشال عون لا يمكن ان يقف لوحده ضد جميع العرب وكل العالم لو لم يستند الى قوة اقليمية (اسرائيل) تحميه من كل الاحتمالات. ولان عون ربط مصيره بمصير اسرائيل فان منطق الامور ان يربط لبنان مصيره بمصير المنطقة وهذا يتطلب قيام جبهة واسعة من التحالفات لتكتيل أكبر قوة للضغط على عون و اسرائيل اساساً. واذا لم نفعل ذلك ستتحول الحروب الموعودة ضد عون اسرائيل الى حروب حقيقية في داخل ساحتنا وجبهتنا كما حصل أخيراً بين حزب الله وحركة أمل في جنوب لبنان وعلى مقربة من قوات الاحتلال الصهيوني.

الاتفاقات التي وقعت امس الاول في مدينة (برن) السويسرية بين اسرائيل والمجر حول تبادل مكاتب لرعاية المصالح، لا تعد خروجا على الخط المتفق عليه بين مجموعة الدول الاشتراكية».

ولا ننسى هنا الاشارة الى زيارة الوفد القنصلي السوفيتي الى تل ابيب في ١٢ يوليو ١٩٨٧ وزيارة الوفد القنصلي الاسرائيلي لموسكو في ٢٨ يوليو ١٩٨٨.

لقد اثار الموقف الجديد الذي تتبناه الدول الاشتراكية ازاء اسرائيل قلق ومخاوف المواطن العربي الذي اصبح «مطمئنا» و«واثقا» على مدى اكثر من عقدين من الزمن من عداء تلك الدول «المطلق» لاسرائيل اداة اميركا في المنطقة، ووقوف هذه الدول «بلا حدود» الى جانب قضاياه العادلة.

كيف اذن يسعى الاتحاد السوفيتي والدول الاشتراكية الاخرى اليوم لعلاقات مع دولة توسعية وعدوانية لا تعترف بالحقوق المشروعة للشعب العربي الفلسطيني وتحتل اراضي عربية بالقوة وتبيد كل يوم عشرات الفلسطينيين حتى بلغ عدد الذين قتلتهم خلال عامين فقط من الانتفاضة اكثر من ٨٠٠ شخص، وجرحت اكثر من ٤٠ ألف شخص، فضلا عن اعتقال اكثر من ٤٥ الف شخص وعملت على ابعاد العشرات من وطنهم، كما دمرت اكثر من ٣٥٠ منزلا بشكل كلي أو جزئي في الضفة و٩٠ منزلا في غزة وهي مستمرةفي نهجها البربري هذا، وتبتدع كل يوم أشكالا قمعية جديدة في محاولة لقمع الانتفاضة الباسلة؟؟.

كيف يمكن ان نقبل امتناع حليفنا الاستراتيجي هذا عن التصويت ولاول مرة منذ عام ١٩٦٧ لمحاولة الدول العربية في الجمعية العامة لرفض اعتماد اسرائيل في عضوية المنظمة الدولية، وهي التي كانت - أي موسكو- على مدى ثمانية اعوام سابقة تصوت لصالح هذا الطلب؟.. في الوقت الذي يسفك فيه الاسرائيليون دماء الفلسطينيين في كل ساع وكل يوم ؟؟.

ولماذا يعمل الاتحاد السوفيتي والدول الاشتراكية الصديقة في زمن الانتفاضة على توطيد الاتصالات الاقتصادية والسياحية والتجارية والثقافية بينها وبين اسرائيل بل وفي التفكير الجدي، باعادة العلاقات الدبلوماسية الكاملة معها وهي التي تنكر حق الفلسطينيين في الوجود؟؟.

وكيف نستوعب تصريح غورباتشوف حول العلاقات بين بلاده واسرائيل اثناء زيارة الرئيس السوري حافظ الاسد لموسكو في ابريل ١٩٨٧، حين قال: «ان عدم وجود مثل هذه العلاقات امر غير طبيعي!»».

تساؤلات.. وتشاؤلات عديدة تثار حول هذا الموقف الجديد للدول الاشتراكية من اسرائيل والصراع في الشرق الاوسط في ظل الانتفاضة واعلان الدولة الفلسطينية، وهو الامر الذي يحتاج منا الى قراءة متينة.

التفكير السياسي الجديد وتأثيره على المنطقة

بتولي غورباتشوف زعامة الحزب الشيوعي السوفيتي في مارس ١٩٨٥ وجد نفسه في وضع يتطلب منه اجراء تغييرات اساسية على صعيد الداخل الذي تفاقمت مشاكله وازماته الاقتصادية - الاجتماعية وعلى صعيد السياسة الخارجية.

ان مرحلة المخاض الراهنة التي تمر بها البلدان الاشتراكية والازمات السياسية التي تكت نفها ورغبتها الحصول على تأييد ومساعدة الدول الغربية الاقتصادية هي الاخرى ستؤثر على توجهاتها السياسية الخارجية فيما يتعلق بقضية الشرق الاوسط في ظل الابتزاز الغربي الذي يمارس حاليا على هذه الدول التي وقفت الى جانب الحق العربي على الدوام وما يجعلنا نؤكد ذلك الاتصالات الجارية اليوم على مختلف الاصعدة بينها وبين دولة العدو والتي هي - أي الاتصالات - مؤشر فعلي لعودة العلاقات الدبلوماسية الكاملة بينها - بعد عودتها بين تل ابيب وبودابست هذا العام.

مسؤولية العرب في تحسن العلاقات بين الدول الاشتراكية واسرائيل:

ان العرب مسؤولون بهذا القدر او ذاك من هذا التحول في موقف ا تحاد السوفيتي والدول الاشتراكية الاخرى تجاه اسرائيل، هذه الدول التي وقفت دوما ومازالت تقف الى جانب قضية الشعب العربي الفلسطيني وحقه في اقامة دولته - اذا ما استثنينا من ذلك موقف حكومة ستالين واعترافها بالدولة اليهودية عام ١٩٤٨، واستمرار العلاقات الكاملة بين رومانيا الاشتراكية واسرائيل بعد العدوان الاسرائيلي على الامة العربية في ٥ حزيران ١٩٦٧.

ومسؤوليتنا نحن العرب عن ذلك يمكن ابرازها في النقاط التالية:

١ - لهث الانظمة العربية المستمر نحو «التسوية» في المنطقة أيا كانت ليس ذلك فحسب بل والانتهاج الفعلي لهذه السياسة تحت مسميات (الاعتدال) و (الامر الواقع) ولا ننسى ان نذكر هنا ان الاتحاد السوفياتي حتى اليوم لا يزال يرفض صفقة كمب ديفيد الانفرادية بين مصر واسرائيل.

٢ - تفجر الازمات والمشاكل في اكثر من قطر عربي وبين بعض الاقطار العربية وتعمق الازمات السياسية والاقتصادية التي تلف الوطن العربي من أقصاه الى اقصاه مما أبعد القضية الفلسطينية الى حد ما عن دائرة الاهتمام الفعلي للانظمة العربية.

٣ - استمرار اللقاءات والاجتماعات السرية والعلنية بين وفود فلسطينية واسرائيلية في اكثر من مكان من العالم، وجرى البعض منها على اراضي الدول الاشتراكية (المجر، رومانيا).

٤ - في عام ١٩٥٥ ابتدأت علاقة العرب المباشرة بالسوفيت بعد صفقة السلاح الشهيرة، وكما اشار هيكل: «كانت علاقات اضطرار اكثر منها علاقات اختيار، فالعرب الذين مدوا ايديهم للتعاون مع الاتحاد السوفيتي لم يفعلوا ذلك الا بعد ان بقيت ايديهم الممتدة للغرب معلقة في الهواء شهورا وسنين».. ولم تتحول تلك العلاقات الى علاقات شاملة، بل ان بعض الدول العربية حتى اليوم لا تقيم علاقات

دبلوماسية مع من تطالبه الوقوف الى جانبها، في الوقت الذي تقيم فيه علاقات (حميمة) مع اميركا (المؤمنة) سند اسرائيل وداعمة عدوانها وحاميتها والواقفة ضد حقوقنا على الدوام؟؟ مفارقة لا يمكن ان يخلقها الا العرب انفسهم ولانفسهم.

٥ - اقامة علاقات دبلوماسية كاملة بين اكبر قطر عربي ودولة العدو وهناك زيارات رسمية وسرية قام بها بعض قادة العدو لبعض الدول العربية.

٦ - صمت الدول العربية ازاء عودة العلاقات القنصلية بين بعض الدول الاشتراكية (المجر، بولندا) ودولة العدو، بل يمكن القول ان بعض الانظمة العربية ترغب في عودة العلاقات الدبلوماسية بين موسكو وتل ابيب سريعا مما يسمح بعقد المؤتمر الدولي للسلام في الشرق الاوسط خضوعا للشرط الاسرائيلي الذي ينص على عدم السماح للسوفيت الاشتراك في هذا المؤتمر المقترح قبل العودة الكاملة للعلاقات بينهما. وهو ما دفع شيفارنادزه للتصريح (خريف عام ١٩٨٦):

«ان بلاده لا تخضع لاية شروط».. وانها «لن تعيد علاقاتها مع اسرائيل الا بعد انسحابها من الاراضي التي احتلتها عام ١٩٦٧ والتوصل الى تسوية شاملة عادلة في الشرق الاوسط».

٧ - لم يعمل العرب بجدية خلال الفترة المنصرمة من علاقاتهم الدبلوماسية مع الدول الاشتراكية على تطوير هذه العلاقات بشكل شامل في مختلف الجوانب لاسيما الاقتصادية والتجارية وعلى المستوى الشعبي.. وقد اشتكت هذه الدول اكثر من مرة من تدني حجم المعاملات التجارية مع الدول العربية التي عملت على الدوام على توسيع حجم معاملاتها الشاملة مع الدول الغربية.

ان موقف الدول الاشتراكية المعلن من اعادة علاقاتها مع اسرائيل يتلخص في تحقيق الشروط التالية:

١ - عقد مؤتمر دولي للسلام في الشرق الاوسط بحضور جميع الاطراف المعنية على قدم المساواة بما في ذلك منظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعي ووحيد للشعب الفلسطيني.

٢ - انسحاب اسرائيل الشامل من الاراضي العربية المحتلة عام ١٩٦٧ بما في ذلك انسحابها من الضفة الغربية وقطاع غزة بناء على قرار مجلس الامن الدولي رقم ٢٤٢.

٣ - ضمان حق جميع دول المنطقة في الوجود بما فيها اسرائيل.

وتسعى اسرائيل الى تحقيق خمسة اهداف اساسية من اعادة عاقاتها مع الدول الاشتراكية في هذه المرحلة:

١ - فتح باب الهجرة واسعا ودون قيود امام اليهود السوفيت.

٢ - توسيع نطاق (شرعية) اسرائيل الدولية عن طريق اعادة العلاقات الدبلوماسية بينها وبين الدول الاشتراكية وحلفاء هذه الدول في افريقيا واسيا واميركا اللاتينية لانه سيصبح من غير المنطقي ان تحافظ الدول الصغيرة على قطع علاقاتها، في الوقت الذي تعيد فيه الدول الاشتراكية الكبرى علاقاتها مع اسرائيل، واعادة اثيوبيا علاقاتها مع اسرائيل خير مثال على ذلك.

٣ - اثارة الرأي العام الغربي واحداث ازمة في العلاقات العربية - السوفيتية واظهار ان العرب ليس لديهم حلفاء حقيقيون.

٤ - التقليل من الصدى السياسي الكبير الذي احدثته الانتفاضة داخل اسرائيل ومن اهمية الانتفاضة الفلسطينية اعلاميا والحد من تأثيرها على مجرى الاحداث الدولية.

٥ - تحسين صورة اسرائيل في العالم والحد من التعاطف الدولي مع الفلسطينيين ودولتهم المعلنة في المنفى.

مظاهر تحسن العلاقات بين الدول الاشتراكية واسرائيل

ان مظاهر تحسن العلاقات بين الدول الاشتراكية واسرائيل ليست وليدة اليوم بل هي مستمرة على مدى السنوات الماضية باشكال مختلفة وان اصبحت اكثر وضوحا منذ يوليو ١٩٨٥ بعقد اول لقاء مهم بين الاتحاد السوفيتي واسرائيل عبر سفيريهم في باريس هزنتوف واناديو سوفير، ويمكن تحديد هذه المظاهر في نقاط اربع:

١ - استئناف الاتصالات الدبلوماسية.
٢ - الموقف من هجرة اليهود.
٣ - استئناف وتحسن العلاقات التجارية الاقتصادية.
٤ - على صعيد الاعلام والثقافة.

وسنتناول هذه المظاهر الاربعة بشيء من التفصيل:

استئناف الاتصالات الدبلوماسية

جميع البلدان الاشتراكية عدا رومانيا قطعت علاقاتها الدبلوماسية باسرائيل بعد عدوانها على الامة العربية في ٥ حزيران ١٩٦٧، علما ان الاتحاد السوفيتي سبق له ان قطع علاقاته بتل ابيب في ١٢ فبراير ١٩٥٣ بعد تعرض سفارته لاعتداء ارهابي واستؤنفت هذه العلاقات مرة اخرى في ٢ يوليو من نفس العام بعد اعتذار بن غوريون للقيادة السوفيتية، اما سبب عدم قطع رومانيا علاقتها باسرائيل مع احتفاظها بعلاقات ودية مع العرب فهو عائد بشكل اساسي ورغبة الزعيم الروماني شاوشيسكو السير على خط مستقل عن موسكو وبقية الدول الاشتراكية ورغبة رومانيا الحصول على منافع تجارية من الطرفين من خلال الحفاظ على علاقات متوازنة مع الاطراف المتصارعة في المنطقة.

الاتحاد السوفيتي واسرائيل.. علاقات الخطوة خطوة

كان من ابرز وأهم اللقاءات «الفاتحة» على طريق تحسن العلاقات بين دول المنظومة الاشتراكية واسرائيل اللقاء الذي جرى في ٢٥ سبتمبر ١٩٨٤ على هامش دورة الجمعية العامة للامم المتحدة بين وزير الخارجية السوفيتي السابق اندريه غروميكو ونظيره اسحق شامير في مقر البعثة الدبلوماسية السوفيتية بنيويورك وقد استغرق ذلك اللقاء الذي اعتبر نقطة تحول مهمة على صعيد العلاقات بين الدولتين ٩٠ دقيقة.

وتوالت بعد ذلك الاتصالات واللقاءات بين الجانبين ففي شهر يوليو ١٩٨٥ عقد اجتماع في باريس بين السفير السوفيتي يوري هوزنتوف والسفير الاسرائيلي اناديو سوفير، وقد تكتمت الحكومة

السوفيتية على هذا الاجتماع الا ان وسائل الاعلام الغربية الاسرائيلية كعادتها استغلته بمهارة واعلنته خطوة حاسمة لعودة العلاقات بين موسكو وتل اب يب ولفتح باب الهجرة لليهود السوفيت دون قيد أو شرط مما دفع الاولى الى الخروج عن صمتها مؤكدة عقد الاجتماع ونافية ما قيل حوله من ادعاءات غربية واسرائيلية.

بعد ذلك-بعام وتحديدا في ١٨ اغسطس ١٩٨٥ اجري اجتماع اخر في العاصمة الفنلندية هلسنكي برئاسة السوفيتي جنريش بليغتين والاسرائيلي يهودا هورام، رئيس ادارة اوروبا الشرقية في وزارة خارجية اسرائيل، وانهار هذا الاجتماع الذي عقد في مقر الحكومة الفنلندية، بعد ٩٠ دقيقة فقط من بدئه لاصرار الوفد الاسرائيلي على ادراج موضوع اليهود السوفيت على جدول الاجتماع الذي جوبه برفض الجانب السوفيتي وتمسكه بجدول الاجتماع لديه والذي كان يشتمل على ثلاث نقاط: ١-الممتلكات السوفيتية في اسرائيل ٢-الشؤون القنصلية ٣-عمل قسم رعاية المصالح السوفيتية في السفارة الفنلندية في تل ابيب، واكدت وسائل الاعلام السوفيتية ان هذا الاجتماع لا يتسم باية صفة سياسية، ولا يهدف الى اعادة العلاقات بين الدولتين لان اسباب قطعها مازالت قائمة.

ونتيجة ذلك الاجتماع وبعد عام فقط من عقده وصل في ١٣ يوليو ١٩٨٧ وف د قنصلي سوفيتي الى تل أبيب في زيارة تعد الاولى من نوعها منذ عشرين عاما ترأسها يفجين انتيبوف نائب مدير الادارة القنصلية في الخارجية السوفيتية، وقبل ذلك عقد في ابريل من نفس العام على هامش مؤتمر الاشتراكية الدولية في العاصمة الايطالية (روما) اجتماعان في يوم واحد بين شمعون بيريز وزير خارجية العدو وكارين بروتنتس نائب مدير الادارة الدولية للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي الكسندر زوتوف عضو اللجنة المركزية ذاتها.

وفي خطوة ذات دلالة ملموسة وصل في ٢٧ يوليو ١٩٨٧ وفد من الكنيسة الارثوذكسية السوفيتية مكون من ستة رجال دين للمشاركة في الاحتفال الذي اقيم في فلسطين المحتلة بمناسبة الذكرى ١٤٠ لقيام الكنيسة هناك، واثناء اجتماعه بهذا الوفد، دعا الرئيس الاسرائيلي حاييم هيرتزوغ السلطات السوفيتية، للسماح لليهود السوفيت بالهجرة الى اسرائيل، وفي اغسطس من العام نفسه صرح جينادي غيراسيموف المتحدث باسم الخارجية السوفيتية ان ممثلين لوزارتي الخارجية السوفياتية والاسرائيلية اجتمعوا في بون (في الاونة الاخيرة) في اطار الاعداد لعقد مؤتمر دولي للسلام بشأن الشرق الاوسط مشيرا الى ان «الاجتماع عقد على مستوى جيد.. مستوى عادي».

وبعد اللقاء الذي جرى في ٢٣ سبتمبر ١٩٨٧ بين وزيري خارجيتي موسكو وتل ابيب شيفاردنادزه وشمعون بيريز في مقر البعثة السوفيتية على هامش دورة الجمعية العامة للامم المتحدة من أهم اللقاءات بين الطرفين هذه اللقاءات التي اصبحت شبه مستمرة وقال متحدث باسم الجانبين (انهما استشفا تحسنا طفيفا في العلاقات».

بعد ذلك بعام وتحديدا في ١ سبتمبر ١٩٨٨ اعلن رسميا في موسكو ان (اجتماع عمل) ضم ممثلين عن وزارتي الخارجية السوفيتية والاسرائيلية عقد في ٢٨ اغسطس في (باريس) في اطار الاتصالات التي يجريها الاتحاد ال سوفيتي مع (الاطراف المعنية) بمشروع عقد مؤتمر دولي للسلام في الشرق الاوسط وأوضح غيراسموف خلال لقاء مع الصحافيين ان هذا الاجتماع عقد (بطلب من الجانب الاسرائيلي).

توجت الاتصالات بين موسكو وتل ابيب باجتماع القاهرة بين شيفاردنازه ونظيره موشيه ارينز في ٢٢ فبراير ١٩٨٩ في مقر السفارة السوفيتية ودام ثلاث ساعات، وكان شيفردنادزه قد ابلغ الصحافيين قبل الاجتماع انه سيحاول اقناع اسرائيل بدخول مفاوضات مع منظمة التحرير الفلسطينية. وقال شيفاردنادزه عقب اللقاء مع ارينز «لا نستطيع القول اننا توصلنا الى حل لكافة المواضيع ولم يكن هذا متوقعا وان توقع مثل هذا الشيء سيكون امرا ساذجا، واضاف اننا اتفقنا بصورة اساسية على مواصلة الاتصالات على مستوى وزراء الخارجية وعلى مستويات اخرى.

وقد وصل الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات الى القاهرة بعد نصف ساعة فقط من مغادرة ارين. الى تل ابيب والتقى شيفاردنادزه.

في ٢٨ سبتمبر ١٩٨٩ نفى الاتحاد السوفيتي نفيا قاطعا توجيه دعوة لشمعون بيريز وزير مالية اسرائيل لزيارة موسكو كما تدعي ذلك مصادر تل ابيب وقال جينادي اليتسوف نائب رئيس قسم الشرق الاوسط في الخارجية السوفيتية ان مثل هذه الزيارة بصفتها الرسمية لا يمكن ان يتم في الوقت الراهن، وفي اليوم نفسه اجتمع شيفاردنادزه مع نظيره الاسرائيلي موشيه ارينز على مدى ساعة وربع الساعة في مقر الامم المتح دة بنيويورك اي بعد سبعة اشهر من اجتماعهما الاول في القاهرة، وبعد الاجتماع اعلن شيفاردنادزه انه اقترح على ارينز استضافة لقاء مباشر بين اسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية في الاتحاد السوفيتي، وقال:«اعتقد ان مثل هذا اللقاء سيكون جيدا للغاية»، وتطرق شيفاردنادزه الى ما وصفه «بمباحثات مثيرة للاهتمام في شأن العلاقات الثنائية مع ارينز وقال انها شملت «مسائل تتعلق بخلق اجواء جيدة لاعمال وفودنا القنصلية وكذلك احتمال اقامة روابط اقتصادية وعلاقات اقتصادية على الصعيد غير الحكومي في هذه المرحلة». واعتبر ان «اجواء العلاقات بين البلدين تسير في اتجاه استئناف العلاقات الدبلوماسية ببطء وبصورة منظمة».

وفي تطور جديد للعلاقات بين موسكو وتل ابيب وصل الى العاصمة السوفيتية في ٢٧ نوفمبر ١٩٨٩ اول وزير اسرائيلي منذ عام ١٩٦٧ وهو وزير الزراعة كاتز عوز بدعوة خاصة من اكاديمية العلوم السوفيتية وبعد ذلك بيوم واحد صرح في القاهرة عميد الاكاديمية الدبلوماسية بوزارة الخارجية السوفيتية في مؤتمر صحفي «ان المصالح السوفيتية في الشرق الاوسط كان يمكن خدمتها ومراعاتها بصورة افضل لو ان موسكو اكتفت بسحب سفيرها أو بعثتها الدبلوماسية بدلا من قطع العلاقات مع تل ابيل عام ١٩٦٧». وقال «ان الوضع قد تغير الان وعلى سبيل المثال فقد اقامت مصر علاقات مع اسرائيل وهذا عنصر مهم وان تواجدنا في اسرائيل سيكون لمصلحة العرب».

وبهذا فان كافة المؤشرات تدل على ان عودة العلاقات بين موسكو

وتل ابيب وشيكة اليوم اكثر من اي وقت مضى.

اما فيما يتعلق بالاتصالات الرسمية والدبلوماسية بين بعض الدول الاشتراكية واسرائيل فيمكن القول انها ابتدأت بشكل مبكر عن الاتصالات الاسرائيلية السوفيتية بل واعتبرها البعض تمهيدا لهذه الاخيرة.

ثانيا: الموقف من هجرة اليهود الى فلسطين المحتلة

أوروبا الشرقية والاتحاد السوفيتي تحديدا يمد مصدراً اساسيا ان لم نقل اهم مصدر لهجرة اليهود الى فلسطين المحتلة. وهذه العملية لهجرة اليهود السوفيت، احد اهم الدوافع لسعي تل ابيب اعادة علاقاتها الدبلوماسية مع موسكو. وقد صرح بيريز ذات يوم: «ان هجرة اليهود الى اسرائيل اهم من التعاون الاستراتيجي مع الولايات المتحدة الاميركية».

وكانت موسكو قد وضعت في مطلع الثمانينات قيودا صارمة على هجرة اليهود الى فلسطين. وقد حاول الاسرائيليون على الدوام ربط خروج اليهود السوفيت بموافقتهم على عقد مؤتمر دولي للسلام في الشرق الاوسط. وقد اكد ذلك بيريز في مارس ١٩٨٧ وهو الشرط الذي يضعه الاميركيون للسماح للسوفيت الاشتراك في مؤتمر دولي للسلام والذي عبر عنه صراحة جورج شولتز وزير الخارجية الاميركي الاسبق امام حفل يهودي في بلتيمور في ١٤ يوليو ١٩٨٧، غير انه في واقع الامر يرفض الاميركيون والاسرائيليون عقد مؤتمر دولي للسلام ويرغبون في السلام على طريقة الصفقات الانفرادية كما حدث في كمب ديفيد.

الا ان موقف العرب الضاغط وسيادة سياسة الاستقطاب الدولي انذاك ساعدت على الحد من هذه الهجرة وقد طمأن السوفيت العرب باستمرار ان هذا الموضوع، موضوع سوفيتي داخلي وان القيادة السوفيتية ترفض (المساومة) بشأنه ولا تقبل اية ضغوط خارجية على هذا الصعيد. وكانت الولايات المتحدة الاميركية قد اصدرت عام ١٩٧٤ تعديلها الشهير المعروف بتعديل جاكسون والذي يقضي بفرض قيود على التبادل التجاري مع الاتحاد السوفيتي وعدم رفع هذه القيود الا متى ما رفع السوفيت قيودهم على هجرة اليهود.

وكانت الدوائر الغربية تستغل القيود المفروضة داخل الاتحاد السوفيتي على هجرة اليهود للتشهير بانتقاص حقوق الانسان هناك.

وقد تراجع معدل هجرة اليهود السوفيت منذ مطلع الثمانينات، ومن عام ١٩٨٧، ففي عام ١٩٧٩ غادر الاتحاد السوفيتي حوالي ٥١٣٣٠ مهاجر وفي عام ١٩٨٠ حوالي ٢١ الف مهاجر ثم انخفض هذا العدد عام ١٩٨٤ ليصل الى ٩٠٠ مهاجر وفي عام ١٩٨٥ وصل الى حوالي ٥٠٠ مهاجر وفي عام ١٩٨٦ حوالي ٢٠٠ مهاجر ثم ارتفع معدل الهجرة في عام ١٩٨٧ ليصل الى ٨٠١١ مهاجر وفي عام ١٩٨٨ الى ٢٠٠٨٢ مهاجر، ومنذ مطلع العام الحالي ١٩٨٩ وحتى اليوم غادر الاتحاد السوفيتي حوالي ٥٠ الف يهودي توجه منهم ما لا يقل عن ٢٠٪ للاستيطان في فلسطين المحتلة.

وهكذا نجد ان التطور الجديد في موقف السوفيت من هجرة اليهود يقترن اساسا بالتغييرات الجارية هناك في ظل البريستروكا والغلاسنوست واشاعة الديمقراطية في الحياة العامة، حيث خففت قيود الهجرة على جميع المواطنين السوفيت وسمح لهم الى حد ما بحرية التنقل والسفر والهجرة الى اي بلد يرغبون التوجه اليه، ويشمل هذا بالطبع المواطنين من (القومية اليهودية) حسب التعبير الرسمي السوفيتي، وذلك في محاولة جديدة من الكرملين تحسين صورة الاتحاد السوفيتي في ظل سياسة التقارب السائدة اليوم.

وتتوقع الادارة الاميركية ان يغادر الاتحاد السوفيتي ما لا يقل عن نصف مليون يهودي سوفيتي خلال السنوات الثلاث المقبلة من اجمالي عدد اليهود السوفيت داخل الاتحاد السوفيتي والبالغ حوالي ٢ مليون شخص ويتوقع ان يتوجه منهم ما لا يقل عن ١٠٠ الف للاقامة في فلسطين المحتلة.

وبهذا نجد ان هجرة اليهود السوفيت الى اسرائيل في زمن البريسترويكا والانتفاضة الفلسطينية اضحت مادة للتقارب بين موسكو وتل ابيب من جهة ومن جهة اخرى العمل على تمكين اعداد متزايدة من اليهود ـ وهم اصلا مواطنون سوفيت ـ تمكينهم من الاستيلاء والاستيطان في اراضي الغير مما يزيد من عنت حكومة تل ابيب وتصلبها ازاء رفض منح الفلسطينيين حقوقهم المشروعة والانسحاب من الاراضي المحتلة واستخدام المزيد من القسوة في قمع الانتفاضة الفلسطينية التي اشاد بها غرباتشوف ورأى انها استحقت اوسع العطف لدى الرأي العام العالمي وذلك في رسالته التي وجهها الى القمة العربية الاخيرة في الدار البيضاء.

ثالثا تطور العلاقات الاقتصادية بين الدول الاشتراكية واسرائيل:

بتطور العلاقات والاتصالات السياسية بين الدول الاشتراكية واسرائيل منذ عام ١٩٨٥ تطورت بالمقابل العلاقات والصلات التجارية والاقتصادية بينها.

وفي الوقت الراهن لا يزيد حجم تجارة اسرائيل مع اوروبا الشرقية على ١٪ من حجم تجارتها مع العالم، الا ان اسواق هذه الدول ـ من وجهة نظر تل ابيب ـ اسواق واعدة وقادرة على استيعاب مزيد من الصادرات الاسرائيلية في ظل الصعوبات التي تعانيها حاليا من جراء انضمام اسبانيا والبرتغال الى السوق الاوروبية المشتركة والتاثير السلبي لذلك الانضمام على الصادرات الاسرائيلية المشابهة لصادرات هاتين الدولتين والتي تتركز اساسا في الحمضيات والالات الزراعية والمخصبات الكيماوية.

كانت رومانيا الدولة الاشتراكية الوحيدة بعد حزيران ١٩٦٧ التي ابقت على علاقاتها التجارية والاقتصادية مع اسرائيل. واليوم تقيم اسرائيل علاقات تجارية مع عدد من الدول الاشتراكية وهي يوغسلافيا والمجر وبولندا وهذه الاخيرة لديها مصرف تجاري حكومي

في فلسطين المحتلة وهو بنك (بكو) و يعمل منذ عام ١٩٣٣ حتى اليوم ولم يتأثر بقطع العلاقات الدبلوماسية بين وارسو وتل ابيب.

كما تحسنت علاقات اسرائيل التجارية وعبر شريك ثالث وجهات اخرى غير حكومية مع الاتحاد السوفيتي وتشيكوسلوفاكيا والمانيا الديمقراطية وبلغاريا. و يتركز اهتمام الاتحاد السوفيتي بشكل اساسي على المشاريع المشتركة والتبادل التكنولوجي في حقلي التقنيات الزراعية والاجهزة الالكترونية، ووقعت اول اتفاقية بهذا الخصوص بين الجانبين في يوليو ١٩٨٩، وقد شهدت الاتصالات التجارية بين الطرفين توسعا ملحوظا بعد القرارات التي صدرت في موسكو في ابريل ١٩٨٩ والتي تتيح للمشاريع الاقتصادية التعامل التجاري المباشر وليس عبر الشركات الحكومية.

في شهر اغسطس ١٩٨٩ زار وفد رسمي زراعي سوفيتي تل ابيب ردا على زيارة سابقة قام بها وفد زراعي اسرائيلي الى موسكو. و بعد ذلك بشهر (٢٨ سبتمبر ١٩٨٩) عقد في باريس اجتماع بين وفدي غرفتي التجارة في الاتحاد السوفيتي واسرائيل ترأسه عن الجانب السوفيتي فلاديمير جولانوف النائب الاول لرئيس غرفة التجارة والصناعة وعن الجانب الاسرائيلي جيلر زان رئيس اتحاد غرفة التجارة و يعقوب كوهين المدير العام في وزارة الصناعة الاسرائيلية تمخض الاجتماع عن اتفاق ينص على فتح مكتب للغرفة الاسرائيلية في موسكو واخر للغرفة التجارية السوفيتية في تل ابيب قبل نهاية العام الحالي، وكانت بلغاريا قد افتتحت مؤخرا في تل ابيب غرفة تجارية يراسها يهودي بلغاري مقيم هناك.

ارتفع حجم التبادل التجاري بين الدول الاشتراكية واسرائيل من ٧٩،٥ مليون دولار عام ١٩٨١ الى ١٠٥ ملايين دولار عام ١٩٨٦، ثم ارتفع الى ١٥٠ مليون دولار عام ١٩٨٧ وواصل الارتفاع عام ١٩٨٨ ليصل الى نحو ٢٠٠ مليون دولار اي ان التجارة بين الطرفين زادت بنسبة ٤٣،٨٪ عام ١٩٨٦ مقارنة بعام ١٩٨١ وزادت بنسبة ٣٠،٤٪ و٣٣،٣٪ في عامي ١٩٨٧ ١٩٨٨ على الترتيب مقارنة بالعام السابق لكل منهما.

وقد شهدت السياحة بين الدول الاشتراكية واسرائيل تطورا ملحوظا حيث سمحت السلطات السوفيتية عام ١٩٨٨ لسبعة الاف سائح سوفيتي بزيارة اسرائيل ولمعظم هؤلاء السياح اقارب من اليهود هناك كما زار اسرائيل عام ١٩٨٦ نحو الفين من السياح المجريين بينما زار المجر في العام نفسه نحو ١٥ الف سائح اسرائيلي ارتفع هذا العدد في عام ١٩٨٨ ليصل الى ٣٠ الف سائح اسرائيلي. وكانت المجر واسرائيل قد وقعتا في ١٠ اكتوبر ١٩٨٨ اتفاقا سياحيا بينهما.

ان السياحة بين الدول الاشتراكية واسرائيل ستشهد خلال المرحلة المقبلة بفعل رفع القيود على السفر في الدول الاشتراكية ستشهد تطورا ملحوظا لا سيما وانه يعيش في فلسطين المحتلة حاليا جاليات يهودية كبيرة مهاجرة من الدول الاشتراكية حيث يقدر عددهم بنحو ٢٥٠ الفا من الروس و٨٠ الفا من المجريين و٢٥٠ الفا من البولنديين و١٧٠ الفا من البلغار. وبذلك ستصبح السياحة جزءا مهما من علاقات اسرائيل الاقتصادية مع اوروبا الشرقية، حيث بدأت اسرائيل من فترة ليست بالقصيرة اتصالاتها المكثفة لفتح خطوط طيران مباشرة بينها وبين الدول الاشتراكية، وقد وقعت تل ابيب وموسكو اتفاقا للطيران التجاري كما افتتحت خطوط طيران مباشرة بين تل ابيب و بودابست ووارسو. وستسهم هذه الخطوط بالاضافة الى نقل المهاجرين اليهود من الدول الاشتراكية مباشرة الى اسرائيل دون المرور بمحطات اخرى كما كان الامر من قبل، ستسهم في تعزيز السياحة بينها.

رابعا على صعيد الاعلام والثقافة:

حدث تغير ملموس في تعامل وسائل الاعلام السوفيتية مع اسرائيل حيث شهد هذا العام نشاطا اعلاميا مكثفا لصالح اسرائيل في الصحافة والاذاعة والتلفزة السوفيتية من خلال استغلال اصدقاء اسرائيل سياسة العلنية والتعددية في الاراء التي بدأت تشيع في الاعلام السوفيتي.

وقد اثار ضجة كبيرة المقال الذي كتبه بوفين محرر صحيفة «ازفستيا» السوفيتية الحكومية في عددها ٢٣٩ تحت عنوان «الانتفاضة وماذا بعد؟» والذي دافع فيه عن الممارسات الاسرائيلية في الاراضي المحتلة وطالب موسكو باعادة علاقاتها فورا مع اسرائيل. وقد رفع ٢٤ كاتبا وصحافيا عربيا في موسكو مذكرة الى وسائل الاعلام السوفيتية في حينها ردا على مقال بوفين ولتفنيد مغالطاته ونشرته الصحيفة نفسها في عددها رقم ٢٦٦ لسنة ١٩٨٩.

وفي موسكو اخذت تصدر بانتظام نشرة (اخبار الثقافة اليهودية السوفيتية) التي تطبع في مطابع صحيفة «ازفستيا» السوفيتية.

كما قدم التلفزيون السوفيتي على مدى سبعة اسابيع في تحول اعلامي ملحوظ ريبورتاجات تلفزيونية من داخل اسرائيل قدم فيها مراسل التلفزيون المركزي يفغيني كيسيلوف صورة زاهية وبراقة للحياة هناك وكيف حول اليهود ارض فلسطين المقفرة الى «جنة خضراء ودولة عصرية تنتشر فيها الكيبوتزات!» مشيرا الى انه «لا نمتلك الا ان نعبر عن تقديرنا واكبارنا لهذا الشعب الذي حول هذه الاراضي المقفرة الى مزارع وحقول مثمرة وزاهرة».

وفي الفترة نفسها كان راديو «صوت روسيا» الناطق بالروسية يذيع تحقيقات اذاعية عن «المعجزة الزراعية في اسرائيل «ضمن برنامج يذاع ثلاث مرات في الاسبوع. وكان الاتحاد السوفيتي قد اوقف في اواخر شهر نوفمبر ١٩٨٨ التشويش على الاذاعات الدولية لراديو اسرائيل واصبحت هذه الاذاعات تستقبل بوضوح الان في الاتحاد السوفيتي.

وعلى مدى الاشهر الاخيرة زار اسرائيل عدد كبير من الادباء والصحافيين والفنانين ورجال الفكر في الاتحاد السوفيتي منهم الشاعر الشهير يفغيني يفتشنكو، والصحافي فيتالي كورنيش رئيس تحرير مجلة «غينوك» والكاتب جنكيز ايتماتوف والمغنية الشهيرة الابوغتشوفا وفرقتها وغيرهم كثيرون وعاد هؤلاء وهم يحملون (اطيب الذكريات عن اسرائيل) ليعبروا عنها (بحرية) في الصحافة السوفيتية الرسمية

بيان حركة الجهاد الاسلامي في فلسطين حول استشهاد المجاهد خالد الشيخ علي

بسم الله الرحمن الرحيم

[ان الله يُدافع عن الذين آمنوا• إن الله لا يحب كل خوّان كفور• اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير•] (الحج ٢٨،٢٩)

العدو الصهيوني يستفرد بالمجاهدين فيقتلهم جزاء صمودهم

فيما تواصل الانتفاضة الثورة صعودها المعجز نحو الشمس والحرية للوطن كل الوطن وفيما يواصل شعبنا الفلسطيني ملحمته التاريخية بدماء الاحرار والمجاهدين يستمر الكيان الصهيوني في استخدام واستحداث كافة أشكال ووسائل القمع والقتل من جهة ووسائل الحصار والتجويع من جهة أخرى معبرا عن ساديته وكاشفا عن أبشع وجه لليهودي والذي يمثل ذروة الشر، ويمثل دور الشيطان في مسيرة

←

مطالبين حكومتهم اولا وقبل كل شيء اعادة علاقاتها مع الكيان الصهوني!!

وفي وقت سابق دافع وزير الخارجية السوفيتي شيفاردنادزه عن الاتصالات الثقافية بين بلاده واسرائيل قائلا: «ان هذه الاتصالات الثقافية تساعد على تحسين التفاهم بين الشعبين» واضاف «الحكومات تاتي وتذهب ولكن الشعوب تبقى وانا اؤيد هذه الاتصالات» وادلى نادزه بملاحظاته هذه في مؤتمر صحفي عقد في موسكو في ٢٢ فبراير ١٩٨٨ ردا على صحافي سوري ساله ما اذا كان مثل هذه الاتصالات يجب ان تستمر في حين تريق الدوائر الصهيونية الدماء في الاراضي المحتلة.

ومن مؤشرات تحسن العلاقات الثقافية بين موسكو وتل ابيب في سبتمبر الماضي في اول زيارة لها الى فلسطين المحتلة على الاطلاق.

وتجري الاستعدادات حاليا لانتاج فيلم سوفيتي- اسرائيلي مشترك، يمثل الجانب السوفيتي مؤسسة الاعلام السوفيتي (لادي) وعن الجانب الاسرائيلي (شركة رون فيلم). كما انه من المقرر ان تشهد موسكو ربيع العام المقبل مهرجان (الافلام اليهودية) الذي تنظمه رابطة (المبادرة السينمائية الاميركية السوفيتية) وفي مطلع العام الحالي وصل اول فريق كرة قدم سوفيتي الى اسرائيل منذ ٢٥ عاما وهو فريق (ديناموكيف) ولعب عددا من المباريات مع الفرق والمنتخب الاسرائيلي.

ومن المؤشرات الاخرى لتحسن العلاقات بين الاتحاد السوفيتي واسرائيل قيام اسرائيل على وجه السرعة بارسال ثلاث فرق انقاذ الى ارمينيا في العام الماضي للمشاركة في عملية انقاذ منكوبي كارثة الزلزال هناك. كما تم ارسال عدد من الجرحى والمصابين الى تل ابيب للعلاج، وقد احاطت اسرائيل رحلة الطائرة الاسرائيلية المقلة للجرحى بحملة اعلامية واسعة.

وفي شهر يونيو الماضي ارسلت اسرائيل مجددا فريقا طبيا الى موسكو لمعالجة المصابين بحروق في حادث انفجار انابيب الغاز. وكانت قد وصلت في شهر فبراير الماضي الى ميناء (اسدود) بجنوب فلسطين سفينة شحن سوفيتية في اول زيارة من نوعها منذ ٢٢ عاما وذلك لنقل ٨٠ طنا من المساعدات الاسرائيلية لضحايا الزلزال في ارمينيا.

وازدادت الثقة اكثر بين موسكو وتل ابيب خاصة بعد استجابة الاسرائيليين لطلب السوفيت اعادة وتسليم خاطفي الطائرة السوفيتية التي توجهوا لها اواخر العام الماضي من موسكو الى تل ابيب وقد اعتبر هذا الاجراء نقطة تحول مهمة في تاريخ العلاقات والتعاون بين الطرفين وظهرت اسرائيل من خلاله كدولة تناهض الارهاب وهي التى تمارسه رسميا ضد الفسطينيين والعرب عموما.

ان جملة ما تم الاشارة اليه يؤكد على تحسن العلاقات بشكل حثيث ومستمر بين الدول الاشتراكية والدولة العبرية، وان الدول الاشتراكية التي لم تعد علاقاتها الدبلوماسية الكاملة باسرائيل هي على الطريق المؤدي الى ذلك.

ولكن يبقى السؤال: هل يتخلى السوفيت كاكبر دولة اشتراكية وصاحبة حق النقض في مجلس الامن الدولي عن مناصرة الحق العربي؟.

ان السياسة السوفيتية الخارجية بلا شك تشهد تحولا ملموسا ولكن هناك ثوابت لا يمكن لهذه السياسة تجاوزها كما لا يمكن لاسرائيل ان تصبح في يوم من الايام حليفة أو حتى صديقة لموسكو وهذا ما يجعلنا ان نؤكد كما يؤكد السوفيت انفسهم انهم لم يتخلوا عن مناصرة الحق العربي.. ولكن العرب مدعوون قبل غيرهم الى مساعدة انفسهم.

حسين عمر سليم
القبس الدولي
١٩٨٩/١٢/٨

الانسان وها هو يلجأ في هذا الشهر الذي لم يكتمل بعد الى إعدام كل من المجاهد الشهيد جمال عبد العاطي وذلك اثناء الاستجواب والتحقيق بسجن غزة المركزي بتاريخ ١٢/٤، وإعدام المجاهد الشهيد/ خالد الشيخ علي (٢٥ عاما) وهو طالب بالسنة الرابعة بالجامعة الاسلامية بغزة، وذلك أثناء استجوابه والتحقيق معه أيضا أثر اعتقاله يوم ١٢/٧ الحالي بتهمة العضوية بحركة الجهاد الاسلامية في فلسطين.

وان حركتنا إذ تهنىء أسرتي الشهيدين وكل أسر شهدائنا تدين بشدة هذا الاسلوب الصهيوني الهمجي الذي يكشف كم هم صغار أمام أبطالنا ومجاهدينا. وهي من جهة اخرى تهيب بكل أصحاب الضمائر الحية من أبناء أمتنا العربية والاسلامية وتهيب بكافة المؤسسات الانسانية أن ترفع صوتها عاليا للدفاع عن هؤلاء المظلومين الذين ينفرد بهم العدو الصهيوني تحت أقبية التحقيق والسجون. وداخل السجن الكبير فلسطين المحتلة.

عهداً لشهدائنا، وعهداً لشعبنا وعهداً لأمتنا أن نواصل جهادنا حتى تسقط كل المؤامرات التي تستهدف الانتفاضة/الثورة وحتى يتحقق النصر والتحرير لشعبنا ولفلسطين كل فلسطين.

المجد والخلود لشهدائنا الأبرار.
المجد للجرحى والمعتقلين الأبطال.
المجد لكل مجاهدي شعبنا البطل.

عاشت فلسطين عربية اسلامية محررة من البحر الى النهر والله أكبر والعزة للإسلام.

حركة الجهاد الاسلامي في فلسطين
٢٣ جمادي الأولى ١٤١٠ هـ الموافق
٢٢/ديسمبر/ كانون الاول ١٩٨٩م

بيان حركة المقاومة الاسلامية (حماس)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على قائد المجاهدين وإمام المتقين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين ومن سار على نهجهم الى يوم الدين.

شعبنا الفلسطيني المسلم: مايزال العدو الظالم يعمل فكره ويستنفد جهده في اصدار الأوامر الظالمة التي يبغي من ورائها تصفية الانتفاضة: مرة عن طريق طرح المشاريع والمبادرات السياسية والمماطلة من خلالها لكسب الوقت وتمييع القضية ومرة عن طريق التضييق على الناس في معيشتهم ونمط حياتهم، ومرة عن طريق فرض الغرامات الباهظة عليهم. إضافة الى استمرار اسلوبه الاجرامي في قتل الشباب والأطفال والنساء والشيوخ واستعمال الغازات السامة وزج عشرات الآلاف من الشباب في أقبية السجون وقتلهم تحت التعذيب كما حدث مع الشهيد البطل خالد كمال الشيخ علي، ومع ذلك ما يزال جنود الانتفاضة المجاهدون يُفشلون بايمان وإصرار كل أساليب العدو الغادرة وما يزال الشعب كل الشعب مصمم على مواصلة الانتفاضة المباركة وان غلا الثمن وعظمت التضحيات.

فنحن الشعب الذي وجد نفسه بانتفاضته وعرف قدره بجهاده وصار معلّماً للشعوب جميعاً وفضح الجيش الذي لا يقهر!!! وعرى انظمة الخيانة في أرجاء عالمنا المسلوب وحرك الجماهير المستضعفة ولذا لا يرضى عاقل من ابناء هذا الشعب أن نتراجع عن إنجازاتنا ونخون دماء شهدائنا وآلام جرحانا ومعتقلينا إلا أن نحقق آمال شعبنا أو نموت دونها.

شعبنا الفلسطيني البطل: لقد أقدمت سلطات البغي اليهودي في الأونة الأخيرة على تقديم أسود حركة المقاومة الاسلامية «حماس» للمحاكمة بتهم كثيرة يجمعها مقاومة الظلم اليهودي وقدمت للمحاكمة أيضاً فضيلة الأستاذ أحمد ياسين بعد أن أعدت مكاناً خاصاً خارج القطاع لمحاكمته وقد أعلن الاستاذ عند بدء المحاكمة أنّ هذه المحكمة غير قانونية لأنّها تتبع سلطات إحتلال غير قانوني. وعندما سأله أحد الصحفيين اليهود عمّ يريد؟ قال: دولة إسلامية في فلسطين كلها من البحر الى النهر. ثم سأله: وماذا سيكون مصير اليهود؟ فأجاب الشيخ: يعيشون تحت سلطة الدولة المسلمة كما عاشوا في الماضي. ومن هنا نودّ أن نوضح ما يلي:

[١] نحن في حركة المقاومة الاسلامية «حماس» وطنا أنفسنا على الرضى بقضاء الله تعالى حتى لو كان الموت في سبيل الله، ونحن مستعدون للتضحية بكل ما نملك وقد كان هذا واضحاً أمامنا عند إتخاذ القرار باشعال الانتفاضة.

[٢] لقد كانت ردّة الفعل الاسرائيلية حاقدة جداً وكان ذلك واضحاً

في كل وسائل الاعلام. والعبرة منها خاصة وذلك لأنّ الحركة باتت الآن هي الحاجز المنيع في وجه العدو الصهيوني.

[٣] لقد كرر الشيخ موقف الحركة المعلن منذ أمد بعيد وهو عدم التنازل عن أي شبر من أرض فلسطين المسلمة. ولن تخدعنا مراوغة العدو اللئيم وإظهاره لبعض مجرميه على انهم هم من دعاة السلام وانصاره كما لا يخدعنا دجل الموقف الأمريكي المتحيّز، فأمريكا ما صدقت في تعاملها مع شعبنا ولو للحظة واحدة وهذا الموقف نابع من عقيدتنا الاسلامية ومن قناعة شعبنا المجاهد.

شعبنا الفلسطيني المجاهد: إنّ حركتكم حركة المقاومة الإسلامية «حماس» وهي تدعوكم لمواصلة الانتفاضة المباركة تؤكد على مايلي:

أ- على الصعيد الخارجي:-

(١) هجرة اليهود: تدين حركة «حماس» الموقف السوفييتي المتخاذل بالسماح لمئات الآلاف من اليهود السوفييت بالهجرة الى فلسطين لدعم العدو بالتنسيق مع أمريكا وتدعو الدول العربية والاسلامية والمنظمات العالمية للضغط على روسيا للعدول عن هذه السياسة.

(٢) تدعو «حماس» الانظمة العربية والاسلامية المتسلطة على رقاب شعوبها لأخذ العبرة مما حدث للدكتاتوريات في اوروبا الشرقية قبل فوات الأوان وتدعوهم لاحترام ارادة الشعوب المسلمة التي تريد أن تحكم بشرع الله. كما تدعوها للكف عن محاربة الحركة الاسلامية القيادة الحقيقية لهذه الشعوب.

(٣) تثمن حركة «حماس» موقف مجلس النواب الاردني لرفعه بياناً للبرلمانات العالمية يدعوها فيه للإحتجاج لدى العدو على تقديم الشيخ أحمد ياسين للمحاكمة كما تدعو السادة النواب للضغط على وسائل الاعلام الأردنية التي تضرب طوقا من التعتيم على فعاليات حركة «حماس».

(٤) تدعو «حماس» كافة المؤسسات العالمية المهتمة بحقوق الانسان والمؤسسات العالمية ومنظمة اليونسكو خاصة للضغط على دولة العدو الصهيوني لفتح مؤسساتنا التعليمية العليا التي مضى على إغلاقها أكثر من عامين. كما وتدعو الجامعات العربية والاسلامية لقبول أكبر عدد ممكن من طلابنا الذين أنهوا المرحلة الثانوية.

على الصعيد الداخلي:

(١) المدارس: مع بداية العام الدراسي الجديد تدعو حماس طلابنا سواعد الانتفاضة القوية الى الحرص على سير التعليم وجديته فبالعلم نغيظ عدونا الذي يسعى الى تجهيلنا وندعوهم الى احترام معلميهم فهم الأخوة والأباء الحريصون على مستقبلنا التعليمي.

(٢) التجار: تُثمن حماس الموقف البطولي لاخواننا التجار في تحملهم عبئاً كبيراً في الانتفاضة وتدعوهم الى المقاطعة التامة للبضائع الاسرائيلية وخاصة تجار القدس والمنطقة الوسطى وقد بدأت السواعد الرامية بمتابعة المخالفين وانزال العقوبة التي يستحقونها بهم. كما تدعو حماس إخواننا التجار الى مراعاة ظروف الناس المعيشية والاكتفاء بالربح القليل. وخاصة في الظروف الحرجة كمنع التجول.

(٣) تدعو حماس شعبنا الفلسطيني الى اعتبار يوم محاكمة الشيخ أحمد ياسين القادمة يوماً للاضراب الشامل والتصعيد المتميز.

(٤) إعتبار يوم الاثنين ١٩٩٠/١/٢٢ م يوم تصعيد ومواجهات احتجاجاً على إعتداء اليهود على المسجد الابراهيمي أيام الجمع. ومنع المسلمين من أبناء فلسطين من الوصول الى الأقصى لأداء الصلاة.

(٥) إعتبار يوم الخميس ١٩٩٠/١/٢٥ م يوم اضراب شامل إحتجاجاً على موقف روسيا الداعم للعدو الصهيوني بالرجال عن طريق فتح باب الهجرة اليهودية الى فلسطين.

(٦) إعتبار أيام ١، ٢، ١٩٩٠/٢/٣م أياماً لكتابة الشعارات على الجدران رداً على قرار السلطات الجائر بفرض الغرامات على أصحاب البيوت.

(٧) إعتبار يوم ١٩٩٠/٢/٩م يوم اضراب شامل بمناسبة دخول الانتفاضة شهرها السابع والعشرون.

(٨) إعتبار يوم ١٩٩٠/٢/١٢م يوماً للتصعيد والمواجهة في ذكرى إغتيال الامام الشهيد حسن البنا قائد الدعوة الاسلامية في هذا العصر الذي إغتاله الاستعمار وأذنابه في مصر الكنانة.

ولتستمر الانتفاضة حتى النصر. «والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون».

والله أكبر ولله الحمد

حركة المقاومة الإسلامية (حماس)
فلسطين

الخميس ٢١ جمادي الآخرة ١٤١٠هـ

١٨ كانون الثاني ١٩٩٠م

هذا زمانك انت

ظمآن يا وطني
وهذا النيل يلقي ماءه في البحر
والاهوار تبتلع الفرات
ظمآن يا وطني
وهذا السد يحجز خلفه بردى
وهذا الغيث يهمي في الصحارى القاحلات
خياما يا وطني تظل على الطلول
الدارسات
تغفو وتحلم بالشموس و بالنجوم الآفلات
وتعب من لين الهوان و يستبد بك الطغاة؟!

• • •

ماذا دهاك؟
أواه يا وطني
وكيف رضيت ان يحمي حماك
طفل بأسنان الحليب
وطفلة لم يكتمل فيها هواك؟

• • •

يا موطني...
يا كعبة الدنيا... و يا ألق النهار..
كيف انتدبت الى قتال القوم..
اطفالا صغار!
وعلى تخومك قد تمطى..
مثل وحش الليل..
هذا الحشد من جيش التتار!

• • •

اضرب فان الليل تحرقه الجراح الراعفات.
والفجر يوشك ان يطل من العيون
الساهرات
اضرب.. فان النصر تغزله على عجل..
رموش الامهات

• • •

هذا زمانك انت.. فاغضب..
لا تخف أحداً.. ولا تخشى الوعيد..
واضرب بسيف الحق..
ان الله ذو أمر..
و يفعل ما يريد..
لا ترج منا هاهنا أحدا..
قريبا أو بعيد

• • •

فالخيل مازالت هنا..
خيل المراسم والبريد
والناس ما زالوا هنا..
ابدا لسادتهم عبيد..
لا تلتفت..
ان الرجولة حولنا وهم..
وأنت هناك في وجداننا الرجل الوحيد.

• • •

اضرب فسوطك من حديد
وعلى يديك هناك..
ينفجر الصراع المر..
والغضب العنيد.
اضرب..
سيجرفنا اليك الشوق في غدنا..
و يقترب البعيد.
فهناك في الاحشاء ينمو في ضمير الغيب
موعدنا..
و يرتعش الوليد
الشرق يولد من جديد
الشرق يولد من جديد

• • •

اضرب..
فباسم الله كان فتى شهيد
هذي جنان الخلد قد فتحت
وشمس الحق قد سطعت..
ونحن هنا..
ستسطع شمسنا يوما..
و ينصهر الجليد.

د. يوسف مناصرة

الذكرى الثانية لاستشهاد أبي حسن قاسم وأخويه

قبل عامين، وفي تمام ظهر الأحد ٢٥ جمادي الثاني ١٤٠٨ هـ ١٤ فبراير (شباط) ١٩٨٨ فقدت فلسطين ثلاثة من أشرف وأصدق ابنائها. ففي لحظة خارج التاريخ كان انفجار غادر دبرته يد العدو العبري المجرم يؤدي بحياة أبناء الاسلام وأبناء فلسطين، القادة الثلاثة أبو حسن قاسم وحمدي ومروان، في مدينة ليماسول القبرصية، وفي أقرب بقعة من ساحل فلسطين سُمح لهم أن يكونوا فيها في ذلك اليوم.

لم يكن أي منهم قد ذهب هباءً، فعلى مدى سنوات طوال جعل الثلاثة من كيان العدو الغاصب هدفاً لهم. فلم يرفعوا السلاح الا في اتجاهه، ولم يحملوا هماً الا دحره من على وجه الوطن، وفي عشرات المواقع والملاحم وقفوا له وجهاً لوجه.

في مرحلة الكشف والاكتشاف الكبرى التي سرت بين صفوف أمتنا في نهاية السبعينات، كان الشهداء البواسل من أوائل الذين تخطوا المسافة بين دائرة اليسار - فكراً - الى دائرة الاسلام عقيدة والتزاماً وجهاداً. وكما كانوا في المرحلة الاولى الأقرب الى جموع الجماهير وأخلاقها ومصالحها، أصبحوا في المرحلة التالية الألصق بهوية الأمة وروحها وامتدادها التاريخي والعقائدي. كان نضالهم لأكثر من عقدين جزءاً من نضالات فتح الفصيل الأساسي في الحركة الوطنية الفلسطينية. وفي المرحلة التالية كان لأبي حسن وحمدي بشكل خاص دوراً رئيسياً في تشكيل سرايا الجهاد الاسلامي في فلسطين كإطار يجمع الفعاليات العسكرية للشهداء البواسل وآخوتهم في حركة الجهاد الاسلامي في فلسطين والحركة الاسلامية المجاهدة. ومعاً واجهوا العدو المجرم في سلسلة من معارك المواجهة والبطولة وصولاً الى شرارة النار الباسلة على باب الشجاعية البطلة التي أشعلت الوطن من شماله الى جنوبه وحتى اليوم.

▪ ▪ ▪

حافظ أخوة ورفاق الشهداء البواسل على ذكراهم معاً، واحتفظوا لهم معاً بأدفأ موقع في قلوبهم، فقد كانت لحظة غيابهم ذروة الحزن من عرفهم عن قرب وعاش أو عمل معهم، وكانت لحظة شهادتهم في مرحلة وقف فيها شعبنا كله شاهداً على قيام ونهضة الأمة وعلى تحولات التاريخ الكبرى. ولكن الآخرين أرادوا أن يفرقوا بينهم في محاولة لفصل أميرهم أبي حسن قاسم عنهم، وفي محاولة لاخفاء تاريخه وذكراه عن عقل شعبنا وذاكرته.

في كل مرة كتبت فيها مصادر العدو الاسرائيلي عن الشهداء الثلاثة كان هناك - وبشكل متعمد مفضوح - اغفال لدور أبي حسن التاريخي في جهاد شعبنا. وقبل أسابيع قليلة صدر في الذكرى الخامسة والعشرين لإنطلاقة فتح بيان عدَّد في احدى فقراته أبرز شهداء المسيرة الوطنية. وفي حين أشار البيان للشهيدين الكبيرين حمدي ومروان فقد تم إغفال اسم أمير الشهداء أبي حسن قاسم.

نحن الذين عرفنا أبا حسن، نعرف جميعاً - ولا نزكي على الله أحداً - أنه كان أصدق وأشجع أبناء جيلنا. نحن الذين عرفناه نعرف أنه كان مسلماً حتى العظم واللحم، وأنه بإيمانه العميق بالله عزوجل وبشجاعته القاطعة، لم يكن الا واضحاً صلباً في تمييزه بين الحق والباطل، أمام الكبار قبل الصغار.

منذ انهى دراسته الجامعية، ولاكثر من عقدين من الزمان، لم يعرف أبو حسن قاسم له مهنة الا القتال. وبوعي والهام الهي كبير ربط مصيره حتى الموت بقضية شعبنا المجاهد، وعرفته ساحات المعارك الكبرى جميعها، من الوطن المحتل الى عمان الى بيروت الى الوطن المحتل. كان صخرة لا تهتز تحت هموم وآلام الدائرة الصغرى والكبرى، وفي الدقائق الستين بين الانفجار وصعود الروح لم يسأل إلا عن أخويه حمدي ومروان... فلماذا يريد البعض تغييب ذكراه؟.

بعد عامين من استشهاد أبي حسن لازال اسمه يخيف الباطل.

أخي: يانجمة جيلنا.. ياحزننا و ياقلب قلوبنا... كم أنت حاضر بيننا، كم أنت حاضر حتى الموت!.

▪ ▪ ▪

أبو حسن قاسم... حمدي... ومروان يفتقدكم شعبكم اليوم، وبأرواحكم يقاتل.

• الاسلام وفلسطين *Islam and Palestine*

• نشرة غير دورية تهتم بشؤون الاسلام والقضية الفلسطينية

• تصدر عن: دار الجذور للطباعة والنشر

• ترسل الاشتراكات والصكوك باسم: The Roots

• الاشتراك السنوي ١٢ جنيهاً استرلينياً أو ٢٠ دولاراً أميركياً

• المراسلات والاشتراكات على العنوان التالي:

The Roots P.O. Box 4375
Nicosia *CYPRUS*

وجميع المراسلات والاشتراكات في الأميركيتين على العنوان التالي:

ICP
P.O. BOX 82009
Tampa - Florida 33682 - 2009
USA

IMP. CEDI. Firminy